فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ رسالة التوحيد للاستاذ الامام و .... صالح التونسي ﴾

(س ٢٩) من أحد طلاب العلم بدمشق الشام

سيدي الاستاذ الامام العلامة فيلسوف العصر ونادرة الدهر ناصر السنة وقامع البدعة من ذكرنا بمناره امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبره واحسانه نطلب من فضيلتكم كما عودتمونا نشر الحقائق وابانة الحق والصدع به بالحكمة والموعظة الحسنة ان تشرحوا لنا معنى كلام حكيم الشرق المغفور له الاستاذ الامام « هذا النوع من العلم علم تقرير العقائد وبيان ماجاء في النبوات عند الامم قبل الاسلام ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدين ـ الى قوله ـ وتآخى العقل والدين لاول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل » الخ

حيث ان جاسوس ابي الهدى وصاحب الفتنة السورية الرمضانية .... بدأ بقراءة هذه الرسالة وتتبع ماتشابه منها ابتغاء الفتنة ولأجل ان يطعن في الاستاذ الامام وصار يحرّف الكلم عن مواضعه فأخذ الآن يتبجح ويتكلم عليه ويحرف كلامه على غير مراده ذلك أنه أوّل القائمين بأمر الدين بأنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا على ذلك بقول الامام: وتآخى العقل والدين لاول مرة الخ فقال .... قوله لاول مرة دليل على ان الانبياء السابقين جاءوا بدين غير مؤاخ للعقل وهذا ينافي اعتقاد الاسلام الخ

مع انه على مايظهر من قول الاستاذ الامام القائمون هم رؤساء الاديان الذين حرفوا وابتدعوا

ولما بلغ صاحب المقتبس محمد افندي كرد علي هذه الترهات اخذه الغضب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر في مقتبسه اليومي (عدد٣٧٤):ان شيخنا من مشائخ الجمود فعل كذا وكذا ليحذر الناس عامة والدمشقيين خاصة من ضلاله واضلاله وفساده وافساده ... ثم سيدي تعلمون انه كما أن للحق انصارا كذلك للباطل انصار ولكن العاقبة للحق كما قال عز وجل «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» وقال عز وجل «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» ـ والآن جئنا راجين كشف مراد الامام رضي الله عنه لينجلي الحق لطالبه وادام المولى النفع بكم

(ج) انتقد قبل الجواب ما جاء في السؤال من الطعن في شخص الشيخ صالح بما لاحاجة اليه في ايضاح السؤال ولاسيما ماحذفته من ذلك الطعن وان كنت جريت في السنين الاخيرة على نشر الاسئلة بنصها ثم أقول

ان مراد الاستاذ من القائمين بأمر الدين رؤساء الاديان كما فهمتم وصرح بذلك رحمه الله تعالى في الجامع الازهر عند ما كان يقرأ الرسالة درسا بحضره الجم الغفير من المجاورين والعلماء والمدرسين الذين لايبلغ الشيخ صالح مد احدهم ولا نصيفه والسياق يأبى حمل الكلام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه بحث في تأريخ علم الكلام الذي يسمى عند النصارى بعلم اللاهوت وهو علم استحدث بعد الانبياء عندنا وعند أهل الكتاب . ناهيك بما قال علماء السلف في ذم هذا العلم عند ماظهر في أمتنا . وقد ذكر مؤلف الرسالة في درسها بالازهر بعض مذاهب أهل الكتاب في المسائل الكلامية المعروفة عندنا ومذاهبهم فيما لانظير له عندنا كطبيعة المسيح (ع م) ومشيئته . كل ذلك في شرح هذه العبارة التي حرفها هذا الرجل بسوء النية والنظر بعين السخط وحملها ما لاتحمل . ومن دلائل سوء نيته ـ اذاصح ماروي لي عنه ـ أنه ضلل مؤلف الرسالة لانه بدأها بسورة الفاتحة دون ما اعتاده اكثر المؤلفين من الحمدلة والتصلية . وهذه العادة وان كانت حسنة ليست واجبة ولاسنة نبوية متبعة ، وحديث «كل أمر ذي بال» على مافي روايته من المقال ، يتحقق

العمل به بالقول ولا يتوقف على الكتابة ولذلك رأينا كثيرا من اساطين العلماء لم يذكروا في أول كتبهم حمدلة ولا تصلية بل بدءوا بعد البسملة بالمقصود كمختصر الامام المزني لمذهب الشافعي بل رأينا كتاب الامّ للامام الشافعي لم تذكر التصلية في أوله استقلالا . فياحسرة على الشبان الاذكياء الذين يتلون بمعلمين يشغلون أذهانهم بمثل هذا الجهل ، ويوهمونهم انه من دقائق العلم ، ويربونهم على استنباط ما يلقي الشقاق والفتن بين المسلمين ، ويغشونهم بأن هذا هو النصر للدين »

ألا يخطر ببال أولئك الطلاب أن رسالة التوحيد طبعت منذ ثلاث عشرة سنة وقرئت دروسا في الازهر على أكثر من ألف أزهري من الطلاب والعلماء واعيد طبعها مرتين وانتشرت في جميع أقطار الارض ودقق النظر فيها كثير من العلماء الذين كانوا يحسدون مؤلفها ويتمنون لو يجدون له عثرة ينتقدونها وكثير من العلماء المحبين له الذين يحرصون على تذكيره اذا نسي وتنبيهه الى خطئه إذا أخطأ وأنه لم يسمع من أحد من أولئك ولا هؤلاء انتقاد على شيء منها الا ماذكرناه في السنة الاولى للمنار من انتقاد الشنقيطي واشرنا اليه في مقدمتنا للطبعة الثانية فاورأوا فيها غير ماذكر شيئا منتقدا لما سكتوا عنه مع توفر الدواعي لذكره فان ما كان يؤثر عن هذا الرجل لم يكن كالذي يؤثر عن غيره من حيث العناية به وعدمها

لا أقول إن إجازة الجماهير من العلماء لشيء هي دليل على كونه صوابا في نفسه وإنما أقول انها بالقيد الذي ذكرناه دليل على كون ذلك الشيء موافقا لاعتقادهم فاذا أمكن لاحد أن يماري فيه فلا يكون مراؤه ظاهراً مقبولا عند المستقلين المنصفين. فليتأمل أولئك الطلاب هذا وليعلموا أنه لا يوجد كلام قط لا يمكن حمله على غير المراد منه حملا يقبله الكثير من الناس المشتغلين بالعلم وليطالعوا كتاب حجج القرآن وليتأملوا كيف استدل جميع أصحاب المذاهب المبتدعة في الاسلام بآياته التي هي في منتهى البلاغة في البيان على تلك المذاهب المتناقضة «يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا »

هذا وان للاستاذ الامام منزعا عاليا في تآخي الدين والعقل في الاسلام لا يدرك مثل الشيخ صالح مرماه فيه وقد بينه رحمه الله في سياق حكمة كون الاسلام آخر الأديان وكون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا يفهمه مثل الشيخ

صالح لان فهمه يتوقف على المعرفة او الالمام بتاريخ الأمم والاديان وعلم الاجتماع البشري وسنن الله تعالى في الترقي وحكمته في نسخ الشريعة المتقدمة بخبر منها و بما عند الله أهل الكتاب من كتب الانبياء عليهم السلام وبمسألة تحريفها هل هو لفظي أم معنوي فقط كما يقول أئمة الحديث كالبخاري . على انه لو قرأها بحسن النية والاخلاص لاستفاد منها في دينه ما لا يستفيده من كتاب آخر من كتب العقائد المعروفة ولكنه ينوي بقراءتها تلمس عبارة يمكن حملها بالتحريف والتأويل على غير ما وضعت له ولكل امرئ ما نوى . لاعجب لتصديه للانكار على رسالة التوحيد دون الكتب الكثيرة المؤلفة في الطعن في الاسلام نفسه والكتب التي نشرها بعض الجاهلين من المسلمين وهي محشوة بما يتبرأ منه الاسلام ومنها ما هو منسوب لطائفته الرفاعية التي فيها ان الشيخ احمد الرفاعي وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال وان الله تعالى وعده ان لا تحرق النار جسدا يمسه هو او أحد خلفائه الى يوم القيامة !!! لا أعجب له بعد ان ترك دروسه في الشام وجاء الآستانة ليسعى في ابطال ما قام به بعض العلماء والفضلاء هنا من تأسيس جمعية اسلامية لأجل إنشاء مدرسة إسلامية عربية عالية لتربية العلماء والمرشدين الجامعين بين التقوى وعلم الدنيا والدين والاستعانة بهم على تعميم التعليم الاسلامي وهي أول جمعية اسست في الاسلام للقيام بهذه الفريضة او الفرائض الكثيرة

شبهته في مقاومة هذا العمل الاسلامي العظيم على ما بلغني عنه أن الداعي اليه وهابي يخشى ان يبث في المدرسة مذهب الوهابية !! ولماذا لم يسع في ابطال جميع مدارس الحكومة التي تقرأ فيها العلوم الطبيعية التي يرى هو كفر جميع الذين يقرأونها وانا على كوننا لا نرى رأيه هذا نعلم أن الكثيرين يخرجون من هذه المدارس بغير دين لأن الدين لا يعلم فيها على وجهه الصحيح المعقول ومنها ما لا دين فيها ألبتة ، ولماذا لم يسع في ابطال مدارس الجمعيات النصرانية التي تعلم اولاد المسلمين مع العلوم الطبيعية دين النصارى وتجبرهم على حضور عبادتهم في الكنائس !!؟ ألم يجد خدمة يخدم بها الاسلام الا السعي في مقاومة جمعية إسلامية غرضها إغناء المسلمين عن مدارس غيرهم ودفع هذه الشبهات الهاجمة عليهم من تعليم العلوم والفنون الدنيوية

- لا ترى الدولة ولا الامة لها غنى عنها ؟؟؟؟؟ أما شبهته تلك فمدفوعة من وجهين

(١) ان الداعي الى هذا العمل لخدمة الدين والدولة والامة ليس وهابيا لانه ليس مقلدا في عقيدته بل هو ناصب نفسه للدفاع بالبرهان عن عقائد الاسلام المثبتة في كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح ويقبل انتقاد كل منتقد ومناظرة كل مناظر فلماذا لم يكتب اليه ببيان ما يزعم انه اخطأ فيه ؟

(٢) لو فرضنا انه وهابي فماذا تضر وهابيته هذا العمل الذي يقوم به جمهور من العلماء ويكون تحت مراقبة جمعية علمية مؤلفة من جميع علماء الارض. إن الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر قد كان سبب تأليفها مشعوذ روسي فهل نقص ذلك من قدرها أوحال دون انتفاع المسلمين بها ؟

ياحسرة على مسلمي هذا الزمان أصبح بأسهم بينهم شديدا وضعفوا امام جميع الامم فهم يخربون بيوتهم بأيديهم ولا يقاومون الا من يسعى لخيرهم ورفعة شأنهم وحفظ دينهم ودنياهم ، ولا يقنطنا هذا من رحمة ربنا والسعي فيما أوجبه علينا فالله لايصلح عمل المفسدين ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز

***

« انفاق ريع الوقف على العلم »

(س ٣٠) من صاحب الامضاء الرمزي في (فلفلان)

سيدي الاستاذ الجليل

يوجد في أحد بلداننا مسجد له أوقاف تغل غلة وافرة تزيد عما يلزم له لنحو امام وخطيب ومؤذن وقد اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف ليرة انكليزية .

وقد اختلف في إنفاقها فقال بعضهم يعمر وينفق منها على مافي ذلك البلد من المساجد الاقرب فالاقرب الى المسجد الغني وقال آخرون بل يفتح بها مدرسة لتعليم العلوم الشرعية بجوار المسجد الغني لأن عمارة المساجد بالعبادة لا بالتزويق .

وقال غيرهم بل يؤخذ بها كتب نافعة للقراءة والمطالعة وتعمل مكتبة بجوار المسجد . فماذا يرى حضرة الاستاذ في هذه المسألة لتقطع جهيزة قول كل خطيب ؟ ودمتم نافعين .

م ٠ ع

(ج) ان الافتاء في مسألة هذا الوقف يتوقف على معرفة شرط الواقف إن

كانت معروفة فان لم يكن هناك شروط تتبين بها جهة مازادعن مصالح المسجدأوكان الشرط ان يصرف الزائد في الخير مطلقا فأفضل الخير وأنفعه العلم وهل تنفع المساجد وتصح الصلاة الا بالعلم ؟ فالرأي إذاً ان تبنى بجوار المسجد مدرسة يعلم بها المسلمون أحكام الدين وآدابه وتأريخه وما يتوقف ذلك عليه من علوم اللغة العربية وآدابها وكذا مايعينهم على أمر معاشهم كالحساب ومسك الدفاتر وعلم التجارة والزراعة وغير ذلك من العلوم والفنون النافعة ان تيسره على أن بعض العلماء المحققين (كابن القيم) قد أقاموا الدلائل على جواز بل تفضيل صرف ريع الاوقاف الخيرية المعينة بشرط الواقف فيما هو أنفع مما نص عليه الواقف فمن شاء الوقوف على ذلك فليراجع هذا البحث في كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين) المطبوع في الهند ومصر

***

﴿ سبب فرض الصلاة ﴾

(س٣١) من عبد القادرافندي جبر بناقوس (شرقية)

مولانا الفاضل صاحب مجلة المنار الافخم

بعد تقبيل الايدي نرجو من فضيلتكم افتاءنا عن الصلاة لاي سبب فرضها الله على الاسلام وماسبب نزولها والله يبقيكم وماسبب الركوع والسجود وما المراد منهما؟

(ج) شرع الله الصلاة وفرضها علينا لنتحقق بها بالعبودية له التي تطهر بها نفوسنا من الميل الى الفواحش والمنكرات والاقدام على ارتكابها وتقوى على الهلع والجزع وتتحلى بالشجاعة والكرم والسخاء .وقد بين الله لنا ذلك في آيات من كتابه كقوله عز وجل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله «إن الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا الا المصلين» وقوله «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين » وقوله « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون» فصلاة الخاشعين ـ ولا صلاة إلا لهم ـ تكون لها كل تلك الفوائد بما تتضمنه من مراقبة الله تعالى وتزكية الروح بذكره وتغذية الايمان به كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير « حافظوا على الصلاة» فراجعه في المنار أوفي (ص٤٣١ ـ ٤٤٠ من جزء التفسير الثاني . وكذا في ص ٣٧ و١٢٨ منه) وهنالك ترى حكمة الركوع والسجود ايضا

باب العقائد

بحث التحسين والتقبيح (*

اختلف الناس هل للافعال في نفس الامر حقائق متقررة في نفسها هي أهل لأن ترعى وتؤثر على نقائضها وتستتبع الرفع من شأن المتصف بها كالصدق والانصاف وارشاد الضلال مثلا وحقائق هي في نفسها أهل لأن يعدل عنها وتستتبع الوضع من شأن من اتصف بها من تلك الحيثية كالكذب والظلم مثلا ، فقالت المعتزلة وأكثر العقلاء وجماعة من الحنفية نعم والمراد بالحنفية هم المعروفون بالماتريدية نسبة الى أبي منصور الماتريدي وكذلك أفراد من غيرهم كالامام المحقق الشهير ابن تيمية حتى عدها عليه السبكي مما خالف فيه الاجماع او الاكثر وقد دل ذلك على نزول درجة السبكي فان دعوى الاجماع كاذبة وكذلك الكثرة مع أن مخالفة الاكثر غير ضائرة « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وللسبكي هذا مع فضله نوادر نحو هذا تنادي على من سبكه مع ابن دقيق العيد وابن تيمية فان هذين الرجلين لا يُلزّ بهما قرين ولم ينفرد ابن تيمية فكم من الحنابلة من صنف في الحط على الاشعري واتباعه كما تجده في التراجم للذهبي وغيره ومن جملة ماينقم عليه هذه المسألة فيقل القائلون بها لان المذاهب المشهورة بين مطبقة على خلاف الاشعري أو مختلفة مع تهجين المخالف له هذه المقالة فلا يغرنك شيوعها في هذه المقلدة كالسبكي وولده فلهم

*) ننقل هذا الفصل من كتاب تحت الطبع اسمه «العلم الشامخ» في إيثار الحق على الآباء والمشايخ» للشيخ أحمد المقبلي من مجتهدي اليمن في القرن الحادي عشر وقد تخبط في موضوعه أكثر علماء الكلام ولم يأتوا الا بتمحلات لامقنع فيها ولكن المصنف بحث بحثا مستفيضا محررا تحريرا آثرنا اثباته في المنار

حوامل قد كررنا اسبابها ان كنت موفقا ومن عدل بالله غيره فقد شابه الكفار « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » والحمد لله على العصمة . وقال سائر الاشاعرة: لا ، انما تلك الحقائق معناها أن الشارع أمر بها ونهى عنها ولو عكس لانعكس معانيها . هذا تحرير محل النزاع . وأما ذكرهم العاجل والآجل عند المعتزلة فمن أكياسهم والمعتزله لا ينظرون الى عاجل ولا آجل لانهم يحكمون بلزوم الرفع الذي منه المدح وكونه ممرضا للثواب والوضع الذي منه الذم وكونه معرضا للعقاب للطاعة والمعصية من حال فعلها وانما منع الاتصال التكليف لان المكلف يصير باتصال الثواب والعقاب ملجأ الى فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الالجاء عندهم شرط في التكليف وهذا أيضا عندهم في التكليف وهو أخص مما نحن فيه وأما مانحن فيه فلا يقولون بلزوم الثواب والعقاب فيه فالغلط عليهم من جهتين ذكر الثواب والعقاب وهما من لوازم التكليف لا من لوازم التحسين والتقبيح والتكليف أخص وذكر العاجل والآجل وسيأتي تتمة لهذا قريبا

ومن المغالطة والخلط لمحل النزاع بغيره قولهم في هذا المقام الحسن والقبح يطلقان لمعان منها موافقة الغرض ومخالفته وحيناً يقولون ملاءمة الطبع ومخالفته ومنها كذا ومنها كذا وهذا اصطلاح لهم ليس بلغة كما صرح به السعد وغيره وليس باصطلاح للخصم حتى يذكر في مقام تلخيص محل النزاع وقد أنكر هذا ابن الملاحمي وقال ينبغي لهم صرف فطنهم الى محل النزاع ثم الحاجة فيه . والعجب أن ابن الحاجب وتبعه العضد أهملوا محل النزاع وذكروا هذه الامور وأخذ السعد في الترميم والامر اجلي من ابن جلا، والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وكذلك سائر المعتزلة ينكرون هذا الاصطلاح

وإدخاله في تحرير المسألة وردّ مراد الخصم اليه وشدد النكير في الغايات على الرازي فى ذكر ذلك فتنبه لهذا وان رأيت في كتب الاشاعر قولهم يطلق الحسن والقبح لثلاثة معان اتفاقا فانما مستندهم كلام أسلافهم من دون معرفة كلام الخصم كما مضى نظيره وهم في كل المذاهب يجعلون نقل أسلافهم حجة على خصمهم في انه يقول القول مع انه يتبرأ منه وهو مثل ما يقال في الحصيات شهد عليك من هو أعدل منك وقول قراقوش اندفن لو تفتح على نفوسنا هذا الما اندفن أحد كما حكاه السيوطي في رسالة صنفها لحكاياته قال لئلا تنكر مع تطاول الزمان مع انها محققة عنده لقرب عصره أو معاصرته له والذي أظن ان الاشاعرة وضعت هذا الاصطلاح لئلا يتعطل معنى الاحسان والاساءة لغة لانهما من ألفاظ العرب وقد نفوا عنها وهذا لا ينفعهم مع اعترافهم ان تلك المعاني ليست بلغوية ولكنه بكسر من سورة الاستهجان باثبات اللاغية في اللغة لا شهر اللفظين منها في أشهر معنيين في ا[illegible] قولهم ما أحسن مافعل فلان مع فلان وما أقبح فعله مع فلان اذ معناه الاحسان والاساءة قطعا لا تلك المعاني التي تذكر الاشاعرة سترا لهذه العورة ولهذا نظائر مع كثير ممن أوقعته زلته في لازم شنيع فتبينه لذلك تقف عليه

ثم ههنا شيء مما ينبغي صرف النظر اليه وهو اعتراف الاشاعرة والاتفاق منهم ومن سائر الناس ان التحسين والتقبيح بمعنى الكمال والنقص ثابت فى نفس الامر وهذا يكاد يلحق الخلاف بالوفاق فان الكمال يستتبع الرفع من شأن من اتصف به والنقص يستتبع الوضع من شأن من اتصف به ولا شك ان من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن الوضع الذم للمتصف بالنقص بل إطلاق الكمال والنقص مدح وذم فقولنا كامل لا يمدح وناقص لا يذم مثل

قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص ويمدح لا يمدح ويذم لا يذم ومعنى الاستتباع انه يناسب العقول وتقبله ولا تأباه وتفرق بينه وبين نقيضه فترى ذم المحسن مناقضا لما ينبغي عند العقل وفي نفس الامر ومدح المسيء كذلك كما ترى ان الذم والمدح متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق عند المعتزلة ولا يريدون بالاستحقاق الوجوب والحتم وما زادوه من قيد الحتم في أي موضع فلموجب آخر لا بالنظر الى هذا المحل وهذا صريح في كتبهم وسيأتيك ان شاء الله قريبا زيادة إيضاح لمذهبهم

فان انكرت الاشاعرة الاستتباع بهذا المعنى فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت معناهما وخلصنا من عبارات تحقيق مذهبهم فانا تارة ننظر الى هذا المعنى فنحكم عليه بالوفاق، وأخرى الى تصريحهم بنفي الحكمة بأبلغ ما يمكنهم من العبارة فيتبين بالحقيقة الشقاق ، هكذا يذكر جماعة من الفريقين كالعضد وابن تاج الشريعة كما يأتي وغيرهما . وفيه عندي وقفة فانهم انما يثبتون الوصفين فيما هو من قبيل الغرائز كالعلم والجهل وكالصدق والكذب أي كونه شأنه الصدق وشأنه الكذب وأما في مثل صدق وكذب وحصل الصدق وحصل الكذب وحصل العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح عنهم والمتتبع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقرون على الخلاف وانما التبس على الناظر ما كان بمعنى الثبوت وما كان بمعنى الحدوث فصادف بمعنى ذي صدق كمال عندهم لا بمعنى حصل الصدق واوجده وكيف وقد أنكروا هذا المعنى الاخير في مطلق الفعل وقالوا معنى آكل انه ذو الا كل لا انه فعل كما يأتي تحقيق ذلك وهذا تحقيق بليغ قد فات العضد واضرابه من الفريقين والحمد لله على العثور على الحقيقة

واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه ، ثم النزاع هل أدرك العقل شيئا من تلك الامور الثابتة في نفس الامر؟ ثم هل هذه الحقيقة بعينها مما أدركه؟ نزاع آخر [1] لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافا ولا وفاقا . أما انه لا ينافيه مع فرض الوفاق هناك فظاهر وأما مع فرض استقرار الخلاف فلأن المخالف هناك قد يتنزل ههنا فتيقظ لهذا تسلم من الزلل ان شاء الله تعالى

وقد تضمن تصحيح التحسين والتقبيح ان الباري تعالى مبين للحكم فقط إما بالعقل أو بالسمع وليس الحكم في ثبوته واقفا على اختيار مختار بل هي كسائر الماهيات المجردة . والعجب ممن اقر بهذا ثم شغفه مدح الاسلاف ، وايثار الخلق على الحق ففرع فروعا تنادي عليه بعدم الانصاف ، ولقد أغرب في ذلك ابن تاج الشريعة ، ولم يتمسك من الانصاف بأدنى ذريعة ، فانه نصر التحسين والتقبيح نصرا مؤزرا ، وسجل على المخالف فعل من استمسك بأوثق العرى ، ومن نظره المحقق الموفق ، وكلامه المُنَمْنَم المنمّق ، على أثر البحث (قوله) على ان الاشعري يسلم الحسن والقبح عقلا بمعنى الكمال والنقصان ولا شك ان كل كمال محمود وكل نقص مذموم وان اصحاب الكمالات محمودون لكمالاتهم وأصحاب النقائص مذمومون بنقائصهم وانكاره الحسن والقبح بمعنى انهما صفتان لأجلهما يحمد أو يذم الموصوف بهما في غاية التناقض وان انكرهما بمعنى انه لا يوجد في العقل شيء يثاب الفاعل أو يعاقب لاجله ، (فنقول) ان عنى انه لا يجب على الله الاثابة أو العقاب لاجله فنحن نساعده على هذا وان عنى انه لا يكون في معرض ذلك فهذا بعيد عن الحق وذلك لان الثواب والعقاب آجلا وان

(١) أي هذا نزاع آخر اه مصححه

كان لا يستقل العقل بمعرفة كيفيتهما لكن كل من علم ان الله عالم بالكليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء وعلم انه غريق نعمة الله في كل لمحة ولحظة ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال مايعتقد انه في غاية القبح والشناعة الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يربعقله انه يستحق بذلك مذمة ولم يتيقن انه في معرض سخط عظيم وعذاب أليم فقد سجل على غباوته ولجاجه ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ، واستخف بفكره ورائه، حيث لم يعلم بالشر الذي في ورائه، عصمنا الله تعالى عن الغباوة والغواية ، واهدنا هدايا الهداية ، انتهى بحروفه

ثم أخذ في الخبط فقال لما أثبتنا الحسن والقبح العقليين وفي هذا القدر لاخلاف بيننا وبين المعتزلة أردنا ان نذكر بعد ذلك الخلاف بيننا وبينهم وذلك في أمرين (أحدهما) ان العقل عندهم حاكم مطلق بالحسن والقبح على الله تعالى وعلى العباد أما على الله تعالى فلأن الاصلح واجب على الله تعالى بالعقل فيكون تركه حراما على الله تعالى به فالحكم بالوجوب والحرمة يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة وأما على العباد فلان العقل عندهم يوجب الافعال عليهم ويبيحها ويحرمها من غير أن يحكم الله تعالى بشيء وعندنا الحاكم بالقبح والحسن هو الله تعالى وهو متعال أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شيء وهو خالق أفعال العباد على ما من جاعل بعضها حسنا وبعضها قبيحا ، وله في كل قضية كلية أو جزئية حكم معين، وقضاء مبين ، واحاطة بظواهرها وبواطنها ، وقدوضع فيها ماوضع من خير أو شر وهو نفع أو ضر ، ومن حسن أو قبح، (وثانيهما) ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوليد بان يولد العقل العلم بالنتيجة عقيب النظر

الصحيح وعندنا العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك أوكثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه قد أوقف الله عليه العقل على انه غير مولد للعلم بل أجرى عادته انه خالق بعضه من غير كسب وبعضه بعد الكسب أي ترتيب العقل المقدمات المعلومة ترتيبا صحيحا على ماصرانه ليس لنا قدرة ايجاد الموجودات وترتيب الموجودات ليس بإيجاد انتهى

ولنتبعه شيئا فشيئا حتى يتبين غلطه ولغطه في مذهب المنزلة ومذهبه. والتصدي لقول فرد ابطالا وتصحيحا لا ينبغي الا ان هذه المذاهب قد استقرت والرجل يتكلم فيها على أهل ذلك المذهب جميا فيكون تخصيص كلام معين أقرب الى الانصاف، وإيضاح الاهتداء من الاعتساف، فاذا انضم الى ذلك كون الرجل من مشاهير ذلك المذهب ثم كون ذلك الكلام في كتاب متداول معروف بالكمال متلقى بالقبول من الفحول كهذا الكتاب الذي ذكر هذا الكلام فيه وهو التنقيح وشرحه التوضيح كلاهما له كان أفضى الى مطلوب طالب الحق فنقول: (قوله) احدهما أن العقل حاكم عندهم مطلق على الله تعالى وعلى العباد (قلنا) ماتريد بقولك حاكم أتريد به انه مدرك للحكم الثابت في نفس الامر الذي أقررت فيه آنفا وبلغت في نصرته كل مذهب فان الاحكام الخمسة ترجع الى الحسن والقبح كما ذكرت أنت الآن فلا بدَّ لك من الاقرار بهذا وإلا ناقضت نفسك، أم تريد أن العقل محصل للحكم ومنشئ له في نفس الامر فلم يقل بهذا أحد، أم تريد وهو الاقرب من غرضك ان الباري تعالى اذا أخرج فردا من ماهية الحسن والقبح الى الوجود فكما يلزم ان يسمى بمطلق الفعل فلعلا يلزم

ان يسمى بفعل العدل عدلا وكذلك نقيضه ، فان كان نزاعك لهم من حيث المعنى فان كنت تريد ان صفة العدل ونحوه ثابتة في نفس الامر فان فعله العبد ثبتت واستقرت وان فعله الباري تعالى خرج عن صفة نفسه كما ياتي من تحقيق كيفية اتصاف الفعل بالاحكام ثم بعد خروجه عن صفة نفسه يحكم فيه الباري تعالى باحد الاحكام قلنا [1] حاصل هذا الامر مناقضة كلامك الاول وزيادة جهالة من اخراج الشيء عن صفة نفسه وجعل صفات النفس من الممكنات الذي لم يقل به عاقل فيما يعرف فان صفات النفس واجبة والا لما كان للنفس وكان مذهب الاشعري الذي بالغت في تهجينه أقرب الى المعقول لانه لم يثبت للفعل صفة البتة وانما قال مستتبعات الاحكام بمحض اختيار المختار ، وحكم الواحد القهار، وان كان نزاعك للمعتزلة في اطلاق الالفاظ فالامر قريب وهذا بحث عملي وقد جروا على مقتضى اللغة العربية وقد جاء في القرآن ما ظاهره معهم «كتب ربكم على نفسه الرحمة – وكان حقا علينا نصر المؤمنين – كان على ربك وعدا مسئولا – كان على ربك حتما مقضيا » فان ادعيت منعا عقليا او شرعيا كان بحثا غير هذا وصفت القاعدة عن اللغط وسوء المناظرة والمعتزلة قد اطلقوا لفظ واجب على الله وقبح منه ولم يطلقوا باقي الالفاظ المأخوذة من ألفاظ الاحكام وانت قست لفظ حرام وللالفاظ خصوصات تنشأ عنها ايهامات لاعتراف نظرائهم شرطوا في اطراد الحقيقة في حق الباري تعالى ان لا توهم خلاف الصواب فلا ينبغي أن يتقول عليهم مالم يقولوه ومن نظر تمثيله لكلام المعتزلة بقوله أما على الله تعالى فلان الاصلح واجب وأما على العباد فلان

(١) هو جواب قوله فان كنت تريد

العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها فمن نظر هذا حكم على الرجل إما بعدم معرفة مذهب المعتزلة وانما يتكلم بحسب الوهم وإما بأنه حين سدد نظره الى اللجاج طاشت الحرارة في دماغه فلم يدر ما قال وهذا أقرب لانه كلام لا يفعله عاقل ولهذا الصنع نظائر في كلام المجادلين فتنبه له

واعلم ان المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في معنى الوجوب على الله تعالى فقالت البصرية معناه في حق غيره وهو في حقه أحق وأولى (فان قلت) فمن لوازم الوجوب والقبح والثواب والعقاب وذلك لا يعقل في حق الباريء تعالى (قلت) هما من لوازم التكليف والتكليف عندهم طلب الباريء تعالى الفعل المتصف بالحكم من المكلف مع مشقة تلحق المكلف ومع ارادة المكلِّف تعالى وقولنا طلب ليس من عباراتهم انما يقولون اعلام الباريء المكلف شأن الفعل الموصوف الخ والذي ذكرناه أولى فالتكليف غير معقول في حق الباريء تعالى والتكليف انما يكون من الباريء تعالى ولا يصح من غيره لان التكليف مصلحة خالصة أي جلب منفعة او دفع مضرة ولوازمه عندهم الثواب الدائم والعقاب الدائم، والعالم بكل مصلحة وكل مفسدة والقادر على الوفاء كما يريد هو الباريء تعالى . وهذا كله صريح في كتبهم شهير لمن له ادنى معرفة فيها، وانما التجاسر على الرواية وعدم المبالاة هو الذي كثر الشقاق، وسلى عن الوفاق، ولا يخلو مذهب من عدم انصاف الخصم وان اختلفوا قلة وكثرة، فاتق الله ايها الناظر وقدّر انك قد وقفك بين يديه وسألك عن هذا ولا تغتر وخذ قول اهل المذاهب من كتبهم فبالتجربة انهم لا ينصفون في النقل وأصله انه لا يحتفل

يقول من عزم على خصومته فيجهل قوله فيجهل عليه فالله الله «لا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»

وحاصل مذهبهم ان المدح والذم من لوازم التحسين والتقبيح والثواب والعقاب من توابع التكليف والبصرية يوجبون الثواب ويحسنون العقاب فقط وللباريء تعالى ان يسقطه عقلا ولزوم الثواب وحسن العقاب وهما المحسنات للتكلف عندهم كما مضى ومعنى الاستحقاق عندهم انه يحسن لا انه يجب . والبغدادية يقولون يجب الثواب وجوب جود بمعنى ان صفات الكمال تقتضي توفر دواعي الحكيم الى فعله وما خلص الداعي اليه وجب ان يفعله الحكيم ومع هذا يطلقون ان الثواب تفضل اي ليس له جهة وجوب في نفسه فاعرف مذهبهم فكم غلط عليهم اخوانهم البصريون فضلا عن غيرهم ويكفي في حسن التكليف عندهم سابقة الانعام ويقولون بوجوب العقاب ولا يجوزون العفو عقلا لانه لطف للمكلفين واللطف واجب عندهم فمذهب الفريقين في الثواب والعقاب متعاكس . هكذا حكاية مذهب البغداديين قالوا عنهم لايجوز العفو عقلا وعللوه بانه لطف وقالوا عنهم انه لايحسن العقاب الا حيث يتضمن نفعا للغافر فينتج هذا انه لايقع العقاب الا اذا حسن ولا يحسن الا اذا انتفع به الغير وتعميم الانتفاع يحتمل اللطف وغيره كالتشفي فتحرر انه قد يقع مقتضي العقاب وهو العصيان ويقع شرط حسن وقوعه وهو يتضمن الانتفاع وقد يخلو عن الشرط اذ لا ملازمة بين المقتضي المذكور وشرط حسن الوقوع فيجب حينئذ أن لا يقع، اللهم الا ان يقولوا لا يُمَكّن المكلف من العصيان الا مع العلم بحصول الشرط المذكور وهذا بعيد ويحتاج الى نقل عنهم معتبر فتعميم منع العفو غير

سديد وحكايته عن البغدادية كما تري والظاهر الغلط عليهم في بعض كلامهم فهذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب وان كان ذلك في كتب اخوانهم البصرية فان كثيرا من الخلطاء لينبغي بعضهم على بعض فليحفظ هذا فانه نفيس جدا

(قوله) العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها ويحرمها قد عرفت سقوطه بما مضى وانه لامعنى له الا بالمعنى المتفق عليه بين الحنفية والمعتزلة (قوله) وعندنا الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى (قلنا) ما تريد بالحاكم المبيّن للحكم الثابت في نفس الامر فذلك قول المعتزلة حتى شنع عليهم الاشاعرة بان الباريء تعالى عندكم كالقاضي والمفتي وسيأتي لزوم هذا على قول الجميع ؟ أم تريد انه محصل للفعل صفة الحسن والقبح فقد كنت قررت ثبوت ذلك لاباختيار المختار وان الاختيار مؤخر عنه عند ذكرك ان الله يأمر بالعدل والاحسان في هذا الكلام ؟ ام تريد ان الباريء تعالى هو الملزم لنا ان نأتي الحسنى ونترك القبيح فذلك قول المعتزلة وهو المراد بالتكليف عندهم فأخبرنا ماهذا الخلاف بينك وبينهم

(قوله) ثانيهما ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوكيد بأن العقل يولد العلم بالنتيجة عقيب النظر الصحيح (قلنا) هذا مجازفة عليهم أو بُهت لهم ولم يقل منهم أحد ان العقل يولد العلم وهم متفقون ان العلوم الضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء واما النظرية فاختلفوا فيها فقال بعضهم مثل مقالتك هذه يخلقها الله والنظر شرط عادي فقط وقال ابو الحسين ليس النظر يولد العلم انما الناظر يستفصل بنظره ما أجمل عند العقل فعند العقل ثبوت حكم الكبرى عموما فينظر في نسبة الوسط منها فيجده فردا من أفرادها فيلزمه ثبوت حكم الكبري للصغرى وهو النتيجة . فنقول

مثلا هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق ظلم وعند عقله ان كل ظلم قبيح فتظهر له النتيجة وهي اتصاف هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق بالقبح ولهذا قال مختار في المجتبى وهو تلميذ تلميذه: النظر تجريد الغفلات ، لاترتيب المقدمات ، وما حكيناه عن ابي الحسين هو ماحكاه تلميذه ابن الملاحمي في كتابه الفائق وقد ذكر الطريقة التي تسميها المنزلة الحاق التفصيل بالجملة فصرح بما ذكرناه وهذه الطريقة عند المعتزلة هي البرهان عند المنطقيين الا ان متكلمي المعتزلة يقدمون الكبرى التي دلالتها عموم على الصغرى التي دلالتها خصوص ثم يقولون والخاص لاحق بالعام أو التفصيل لاحق بالجملة. القول الثالث قول من قال بالتوليد فقالوا النظر معنى يتولد عنه العلم عند كمال شرائط النظر ولم يقل أحد ان المولد له العقل كما ذكرت وانما العقل آلة للادراك فقط عند الجميع

(قوله) وعندنا ان العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك اذ كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه أوقف الله عليه العقل (قلنا) هذا غير مذهب المعتزلة[1] ولم يقولوا ان العقل يستقل الا باحكام يسيرة كوجوب شكر المنعم ودفع الضرر عن النفس وانصاف الغير وكالظلم والعبث والكذب واما مارميتهم به بمضمون هذا الكلام وماقبله وأوهمت انهم يدعون معرفة جميع الاحكام بعقولهم وانهم مثلا يدركون وجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال وان عقولهم غنية عن تبليغ الرسل

---

(١) اي ماحكيت عنهم هو غير مذهبهم. ويصح أن تقرأ العبارة: هذا عين مذهب المعتزلة . أي ما ادعيته مذهبا لك ولله الصواب اه مصححه

ولا فائدة لما عندهم كي يتحقق الخلاف بينك وبينهم لانك اذا افضلت نفسك عنهم بذلك فان كنت تحكي عن قوم تختص انت بمعرفتهم يسمون معتزلة فلا يعنينا التعرض لك ولهم وان كان المراد بهم هؤلاء المشاهير : واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والجاحظ والنظام وأبو الهذيل والكعبي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وابو الحسين الخياط وابو عبدالله البصري وابو علي وابو هاشم والقاضي عبدالجبار وابو الحسين والخوارزمي وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ولا يستقل بدراية مذهبه رواية ولا تخفيه زاوية فهذه مصنفاتهم ومقالاتهم المتواترة عنهم وبين ظهراني اتباعهم وفي بطون كتب الاشاعرة قد بينوها وكرروها وطووها ونشروها كالحريت الفخر الرازي وغيره ولم يفتر عليهم احد ما ذكرت اللهم الا ان يروي ذلك عنهم مغمور مسجّل على نفسه بالغباوة والجهالة فيكون سلف لك في هذه الضلالة عصمنا الله عن الاهواء ووفقنا لما هو أقرب للتقوى آمين

اذا تقرر هذا فلنقدم على حجج الفريقين تنبيها على كيفية صيرورة الفعل متصفا بالحسن والقبح فانه من تمام تحرير محل النزاع لتتوارد الحجج على أمر معروف، ومحل مكشوف، اعلم انهم يحكون خلافا بين الجبائية وسائر المعتزلة ويقولون ان الجبائية يقولون يحسن ويقبح لوجوه واعتبارات والبغدادية يقولون لعينه ويحكي بعض الاشاعرة عن بعض المعتزلة انه لصفة من صفاته والاقرب انه خلاف في العبارة وبيانه ان مراد الجبائية بالوجه الذي وقع عليه الفعل الوجه الذي له دخل في تحسين الفعل وتقبيحه ولأجله سمي حسنا أو قبحا اذ مطلق الفعل وحده او مع ألف وجه لا يصير ويسمى لأجله حسنا وقبحا لا يعتبره عاقل قطعا ككونه حركة مثلا

الى جهة اليمين في وقت الضحي في قمر المنزل وغير ذلك والا للزم كون كل فعل حسنا وكونه قبحا وهو معلوم البطلان والبغدادية لايقولون ان مطلق الفعل قبح ولا هو مع وجه ملغى كذلك لما ذكر فتبين انه مطلق الفعل متركبا مع وجه او وجوه لها دخل في صيرورته وتسميته حسناً وقبحا وأنا انبهك على وجه غلطهم وهوانهم يأخذون الفعل متركبا مع وصف ملغى أوغير تام كالسجدة مثلا ثم يقولون لو كانت السجدة حسنة اوقبيحة لنفسها لما كانت طاعة للرحمن وكفرا ان كانت للشيطان والجواب ان مراد البغدادية بالفعل ليس السجدة مطلقة ولا هو مع القيود التي صارت بها سجدة بل ذلك كله مع قيود أخر صار بها عبادة للرحمن ومتى كان كذلك لم يخرج عن كونه عبادة الى كونه كفرا الا بنقصان قيد وزيادة آخر والمقيد بقيد غير المقيد بآخر وكذلك القول في لطم اليتيم تأديبا وظلما وغير ذلك . وحاصله ان الظلم مثلا بعد تمام كونه ظلما لايخرج عن كونه قبيحا مادام كذلك فلذا قالوا انه ذاتي اي مادام الظلم مستجمعا لما صار به الفعل ظلما فلا يخرج عن القبح فتأمل هذا فانه بحث نفيس بديع وهو مما ترك الاول للآخر والحمد لله وحده

ثم اعلم انه ليس من ضرورة مطلق الفعل الحسن والقبح ان أريد بالحسن ماله مزية راجحة على مزية الطرف الآخر والمعتزلة يطلقون الحسن على ما عدا القبيح حتى المباح بمعنى مالا حرج في فعله وتركه فعلى هذا لايخلوفعل عنهما ثم المطلق قد يتقدم بقيد أوقيود ولا يحصل منها الا اسم مثل مطلق السر فانه مع الاحكام لمطلق الفعل وقد يتقيد بقيد يحصل له به اسم وحكم مثل كونه عدلا وظلما وصدقا وكذبا ثم الوجوه والاعتبارات

التي يحصل بها الحكم هو شيء مقدور وضابطه ما حكم وأدرك العقل عند الحسن والقبح ثم قد يزيد على تلك الوجوه المبينة وجه او وجوه فاذا اعتبر المجموع فتارة يتأكد الحكم الاول فقط مثل الزنا في المسجد في رمضان مثلا وقد يتصف المجموع بحكم مخالف لحكم المزيد عليه والمزيد عليه باق على ما هو عليه فانه مع الزيادة مغاير له مع عدمها فلا بعد ولا احالة في اتصاف كل منهما بغير ما اتصف به الآخر فاذا حكم العقل مثلا بحسن الصدق وقبح الكذب ثم فرضنا انه جاء دليل عقلي أو شرعي بان الكذب الذي فيه عصمة نبي واجب والصدق الذي به هلاكه حرام لم ينقض ذلك علينا قاعدة الحسن والقبح بل ولا هذه الصورة التي ادرك حكمها العقل انما أدرك حسن صدق غير مقيد بكونه يهلك به نبي وقبح كذب غير مقيد بكونه ينجو به نبي. يحكى عن بعض البوادي انهم يبيتون الضيف مع ازواجهم ومحارمهم ويقولون هم اكرم الناس واقرامهم للضيف فهؤلاء ضموا الى اكرام الضيف هذه الخسة وسموا المجموع باكرام الضيف والذي يفعل ذلك انما يسمى ديوثاً ونحوه واكرام الضيف انما هو جزء فعلهم هذا وهو اكرام الضيف فيما عدا هذه الخسة ومع تناهي فعلهم هذا في القبح لا يخرج اكرام الضيف من كونه من أشرف الخصال وأفضلها ولا يكاد فعل يخلو عن مفسدة ولو مجرد المشقة وفوات الدعة ولا عن مصلحة ولو اللذة واطلاق عنان النفس فانها امامنعت من شيء الا اشتاقت اليه ولكن يعتبر الارجح ويضمحل عنده المرجوح وهذا يحتاج الى معاودة التأمل وعدم الاستعجال مع نقاوة غريزة وذهن صافٍ سيّال

فان قلت هذا يخالف قولهم قبح الكذب لكونه كذبا والظلم لكونه ظلما والعلة موجودة بتمامها مع كل عارض مقدر في الكذب لان حقيقته

مقررة لا تزول الا بزواله بخلاف الظن (قلت) انما حكمنا بقبح ما أدرك العقل قبحه بضرورته واما تصيّد كم العلة ثم إلحاق مالم تدركه الضرورة العقلية فلا يفيد اليقين لعدم القطع بعدم الفارق وانما غايته الظن الذي الاصل منه مالم يدل على الاستثناء به دليل فدعه «ولا تقفُ ماليس لك به علم - ان الظن لا يغني من الحق شيئا - ان بعض الظن إثم» فايؤمننا أن يكون هذا منه ومالم تلجئنا الضرورة العقلية فلا علينا ان نكل أمره الى خبر الشرع، وندعن له بالطاعة والسمع ، فكل مالم تضطرنا اليه الضرورة العقلية،فنحن فيه سمعية وهذا أوسط الامرين بين تفريط الاشاعرة وإفراط المعتزلة

(فان قلت) فهل يجوز تساوي طرفي الفعل في كون كل منهما مصلحة واذا جاز فهل يجوز ان يأمر الحكيم باحدهما معينا واذا جاز فما المخصص حينئذ لانك قدمت أن الترجيح بمحض الاختيار وان جاز في حق القادر نظرا الى الذات فانه يمتنع بالنير لمكان الحكمة (قلت) جواز استواء الطرفين في المصلحة لا مانع منه وأمر الحكيم بذلك كذلك والمرجح حينئذ محض الاختيار كالهارب يختار احدى الطريقين بلا مرجح والذي قدمنا منه هو حيث لاداعي الى الفعل يرجح في نفس الامر لانه يكون عبثا وهو ممتنع الوقوع حكمة في حق الحكيم وعادة فقط في حق غيره كما يأتي تحقيق ذلك في أواخر مسألة التحسين والتقبيح ان شاء الله تعالى وأما هذا فقد قام الداعي في كل من الطرفين على حدة فلا مانع من تخصيص أحدهما بمحض الاختيار وترى أناسا يناقضون من فرّق بين المسلمين ويغلطونهم وانما الغلط عند من لا يفرق واذ قد أتينا على غرضنا من تحرير محل النزاع وما يتعلق به فلنذكر المعتمد من حجج الفريقين وبالله الاستعانة

(لها تتمة)

ذكرى (*)

للسوريين عامة . واهل بيروت خاصة

البلاد السورية من ارقى البلاد العثمانية استعداداً في العلم والعمران وان بيروت ارقى هذه البلاد ، بل هي من اثمن الدرر في تاج آل عثمان

قد زادت قيمة بيروت في نفوسنا بعد الدستور اضعافا مضاعفة ءوصرنا نباهي بها ونفاخر بعد ان كنا نشكو من تلك المعرة الفاضحة : معرة العصبية الجاهلية باسم الدين التي كانت حجابا دون محاسنها الكثيرة ، ومزاياها الجمة ، فقد كانت تتلفع بذلك الثوب المنكر وتدجج بسلاح البغي والعدوان فكلما سمعت هيعة جردت سلاحها هذا ، وقالت به هكذا وهكذا ، تتوهم انها تجاهد في سبيل الله ، وتفتك بعدو لها واقه ، وانما كانت تجاهد في غير عدو ، بل كانت تحارب نفسها وهي لاتدري ، فيطعن بعض ابنائها صدور الابناء الآخرين وهو لايرى ولا يبصر ، حتى اذا ما لاح صبح الدستور القى الاخوة السلاح من ايديهم وطفق بعضهم يعانق الآخر ويقبله وهو يبكي على مافرط في ذلك الليل البهيم ، ويبسم لما يرجو في هذا النهار المنير

كان بعض عقلائنا يقولون ان علة تلك الاحقاد والاحن هي الحكومة الاستبدادية التي لاتجد حفاظا لسلطتها الا التفريق بين رعيتها ، ولا سيما أهل الذكاء والعلم منهم ، وكان بعضهم يقول ان علة ذلك التدابر والتباغض هي دسائس اصحاب المطامع من الاوربيين ، وهناك فريق ثالث يجمع بين القولين ، ويثبت كلتا العلتين ، ولاخير لبيروت ولا لمجاوروها من البلاد في فوز هاتين السياستين . وانما خيرها في اتحاد ابنائها على ترقيتها وعمرانها ورفعة شأنها وكل من السياستين عقبة كؤد في طريق سعادتها هذه

(*) نشرناها في جريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

فرحنا بعد اعلان الدستور من خلع بيروت ذلك الثوب الذي كانت تتلفع به احيانا في تلك الظلمات ونبذ ذلك السلاح الخاطئ الذي كانت تحز به مفاصل اعضائها فتبين بعضها من بعض ، واشبعناها ثناء وتقريظا ، وارويناها حمدا وشكرا ، راجين ان يكون الشكر مدعاة المزيد ، وذلك اثر الشكر الطبيعي في نفوس أهل النجدة وعلو الهمة كأهل بيروت

تلك المحمدة التي عكس لنا البريد صوتها وارانا البرق نورها ونحن في مصر قد هاجت شوقنا لرؤية بلادنا ترفل في حللها الزاهية ، في نور شمس الدستور الضاحية . بعد ان تركناها منذ سنين دخلت في جم الكثيرة وهي تتعثر في ذلك الثوب الخلق ، في ذلك الطريق الذي في مثله يقول الراجز

وقاتم الاعماق خاوي المخترق مشتبه الاعلام لمّاع الخفق

تسير على غير الهدى، الى حيث تقع في مهاوي الردى ، في تلك الحنادس بما يخفق من بروق الوساوس ، التي تغريها باعانة المستبد فيها على استمرار استعبادها، أو تمكين الطامع فيها من ازدرادها (لاسمح الله)

زرت بيروت وغيرها من البلاد التي اعدها كلها وطني الخاص فكنت على تفضيلي بيروت على سائر اخواتها من المدن بنات سورية أرى ان الوفاق السلبي وحده لايثمر ما نحب من عمران البلاد وارتقائها — واعني بالوفاق السلبي تركما كان من التنازع والتخاصم ،والتشاتم والتلاحم — وانما تعمر البلاد وتسعد بالوفاق الايجابي وهو انما يكون بالاختلاط وكثرة التزاور والاشتراك في الاعمال المالية ، والجمعيات العلمية والادبية

بذلت لهم نصحي وهم قومي الذين افخر بهم اذا صلحوا واصلحوا ، وتصيبني معرتهم اذا اساءوا وافسدوا ، راجيا ان يكون ذلك الوفاق الذي سميته سلبيا مقدمة وطليعة لما يكون بعده من الوفاق الايجابي بالتدريج وانا لا أزال مع سائر العقلاء من اخوانهم البعيدين عنهم في مصر والآستانة وامريكا وأوربا ننتظر ان يكونوا هم السابقين الى رفع قواعد بيت الأتحاد على اساس الدستور ليكونوا في مقدمة زعماء الارتقاء في

تلك الديار في هذا الطور الجديد ولكون مدينتهم ينبوع مدنية تلك الاوطان في ظل الدولة العلية ايدها الله تعالى

بينا نحن على ذلك الانتظار اذا بجرائد بيروت نفسها تعيد على اسماعنا في هذه الايام شيئا من حوادث ليالي الاستبداد الحالكة: بعضها صريح، و بعضها جمجمة وتلويح وقد جاء العاصمة أناس منها فاذا هم يتشاءمون ويتطيرون و يرون ان بعض علل التفرق السابق أو كلها قد عادت جذعة أو كادت ... فالله الله يابيروت في نفسك وفي ابناء جنسك، فان اعداء قومك واعداء دولتك يتربصون بك الدوائر، و يكيدون لك المكايد

اسمعي يابيروت وعي فاذا سمعت سمعت سورية كلها واذا وعيت وعت، واذا لم تلقي السمع، ولم تفرقي بين الضر والنفع، فعليك إثمك وإثم سورية كلها

انك ترين في بعض صحف المفسدين الذين يلبسون لك ثياب الناصحين كلاما في التفرقة بين المسلمين والنصارى فاياك ان تغتري بهم، أو تنخدعي لهم، نعم ان الكريم ينخدع ولكن في الخير، ولاعذر له في الانخداع لدعاة الشر، انهم يقولون لاحق للمسيحي من السوريين ان يتكلم في شئون المسلمين، ونحن مسلمي السوريين وعلماءهم وكتّابهم نقول انلهم ان يتكلموا في شئوننا كلما رأوا الفائدة للبلاد في كلامهم معنا فيها ولا نسيء الظن فيهم، لان المصلحة مشتركة بيننا وبينهم

انني لأسيء الظن بكم ايها الاخوة الاذكياء الفضلاء، ولا ببلدكم وان لم تخل كغيرها من الجهلاء، وانما المحب مولع بسوء الظن في كل أمر يتعلق بمحبوبه، فهذا مايدعوني الى هذا التنبيه

ان رجائي في عقلاء الطائفتين وفضلائهم لعظيم وان ممازاد هذا الرجاء قوة ورسوخا تأسيسهم لنقابة الصحافة في بيروت وعسى ان يشترك معهم جميع اصحاب الصحف اللبنانية والمنتظر من هؤلاء الكتاب النبهاء وقد اجتمعت كلمتهم ان يجمعوا كلمة قومهم على الوفاق ويجتثوا شجرة الخلاف الخبيثة من أصولها ويردّوا بالاجماع على كل من ينبز بلدهم بلقب التعصب الذميم وان كان من آبائهم او اخوانهم المهاجرين أو المقيمين فانني أرى بعض جرائدنا في امريكا لاتزال تركب متن هذا الخطأ: خطأ

الاتهام بالتعصب الديني وهو هو الذي يثير كوامنه ، ويحرك سواكنه ، ويقوي ضعيفه ، ويحيي ميته ، فما لم لايذكرون

اذكروا ايها الاذكياء ما يجمع الالباء وتناسوا مايفرق ، الى ان تنسوه ببركة التعاون والاخلاص ، اذكروا ان لكم جامعة كبيرة وهي اللسان ، وجامعة أخرى وهي الديار ، وكل منهما جامعة شريفة لها ذكر مجيد في التاريخ ، وجامعة اخرى وهي العثمانية التي تصل حبلكم بحبل كثير من إخوانكم الشرقيين وما أعز من يكثر إخوانه ويتعدد أعوانه ! « وانما العزة للكاثر » ومن أكبر خطأ بعض الجرائد في المهاجر التنفير من هذه الحكومة التي يرجى لكم في ظلها ما لا يرجى لغيركم ان أنتم أتفقتم على تعزيزها بترقية بلادكم وجمع كلمتكم ، ولا حجة لتلك الجرائد الا سوء سيرة رجال الدولة في أدوار الاستبداد البائدة وقياس الآتي على الماضي وهل يقاس الضد على ضده ؟ كلا إن السوريين لم يذوقوا من بأس الاستبداد ما ذاق الارمن ونرى هؤلاء يسارعون اليوم الى اقتطاف ثمار الدستور ويشاركون في الواجبات ليشاركوا في الحقوق . نراهم يعلمون ولدانهم في المدارس النظام العسكري كل يوم ترغيبالهم في هذه الخدمة الجليلة وما نصارى السوريين دون الارمن ذكاء وعلما بل هم في هذا العنصر العربي ركن عظيم ، تبأ لمنكريه باقوالهم ، ومحاولي تقويضه بافسادهم ، فتذكروا وتدبروا ، ولاتنازعوا ولاتدابروا ، واتحدوا وتعاونوا على ترقية البلاد بالعلم والثروة لتكونوا كما يؤهلكم استعدادكم الركن الاعز الاكرم في هذه الدولة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو اذا شاء يهبكم اجتماع الكلمة وكفى

الفطرة وأسباب الترقي في الكون (*)

كان الله ولا شيء معه الحـــا في ذاته منزها بألوهيته فليس بكم ولا كيف محتجبا في أزله منزها عن التحديد فليس بالجسم التعليمي الذي تحده الأبعاد ولا بالشيء المفروض الموهوم الذي تكيفه الأفكار تخيلا واقتراضاً وانما هو الكائن في ذاته لا تحيط به العقول ولا تصل اليه الحواس وكيف والحواس لا تدرك الا أعراضا لا تلبث أن تزول ؛ سبحانه لا يعلم شأنه الا هو

كان الله ولا شيء معه فلا سماء ولا أرض ولا طول ولا عرض ، كان مصدر الخير ومفاض النعمة كما قال الرسول (ص) عن ربه عز وجل « كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق في عرفوني» أراد الله أن يُعرف بنفسه ويمتاز بألوهيته التي يظهر فيها مظهر الكمال المطلق من قدرة غالبة وإرادة حكيمة وعلم واسع فأبدع من الخلق ماشاء وكوّن مملكة متأثرة بتلكم الصفات الثلاث : فالإرادة رتبتها ، والقدرة أبرزتها ، والعلم حفظها من عبث الجهل الذي هو سبب الفساد في كل شيء

ثم فطر الله الكون على قواعد ونواميس كلية وأقام عليها هذا العالم الأكبر : عالم الحياة الحادثة والحركة المتجددة فأوجد مقوماتهـا قوّى وكتلا مختلفة التركيب والعناصر . وقد اثبت العلم ان ما خلقه الباري سبحانه وتعالى ينقسم الى قسمين : مادة ونفس فالمادة عبارة عن الاجسام والجسم عبارة عن كل كتلة أشغلت فراغا سواء أمكن النظر اليها أم لا كالهواء والماء فإنهما لا لون لهما فلا تدركهما الابصار

والنفس عبارة عن معان مجردة لا تشغل فراغا ولا تتزاحم مع غيرها من انواعها ولا يزاحمها أيضا غيرها والدليل على ذلك قريب وهو انه يوجد في

(*) محاضرة للشيخ حسين سليمان مفتش مدارس العروة الوثقى بالاسكندرية القاها في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية بتأريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الانسان طريقان : طريق خاص بالاشياء الجسمانية هو الفم يوصل الغذاء الى قاعة جسمانية أيضا هي المعدة بحيث لا يمكن أن يشغل فراغها شاغل لا يصح ان لا يقف عند حد محدود في كميته وذلك كالغذاء النازل فيها فتى امتلأت دفعت . وطريق نفساني مورده الحس المشترك وقاعة الحافظة تقبل من المعلومات ما لا يتناهى لا تضيق بعلم دون آخر بل هي قابلة لأن تتناول كل المعلومات التي تصل اليها مهما بلغ مبلغ كميتها

وقد قيل في النفس آراء كثيرة لا حاجة بها هنا . ومن المادة والنفس كان التكوين فكانت هذه المجموعة وأودعت السلطة أرقى نفس فيها أفيض عليها من لدن الباري جل وعلا صفة العلم فكان الانسان بها خليفة وملكا سخر له غيره من عالم المخلوقات

وانقسمت المادة باعتبار مميزاتها الى ثلاثة اقسام : حيوان ونبات وجماد . وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا يقتضي أن يكون وجود الثلاثة في آن واحد إذ لا غنى للحيوان عن النبات ولا للنبات عن الحيوان والكل تقله الأرض وتعطيه من خواصها ما يحتاج اليه . ويظهر من ذلك ان الكائنات كلها لم توجد دفعة واحدة كما هو رأي الفلاسفة وانما وجدت بترتيب حيث كانت العوالم العلوية الفياضة ومنها سار التأثير في العالم السفلي ومن ذلك ربما يصدق قول بعض المنجمين الذين يرصدون الافلاك فيستنتجون من أشكالها حوادث جوية ووقائع أرضية (*

قد يظن انسان ان النبات ليس محتاجا الى الحيوان، كلا فان النبات محتاج في حياته الى الحيوان فانه يتنفس كالحيوان و بينهما في هذه الصفة ارتباط شديد فالحيوان يتقي الهواء للنبات والنبات يتقي الهواء للحيوان واليك الغابة دليلا وهي المكان الطبيعي الذي لا يخلو من وجودها فهما يتبادلان منفعتهما . والغرض من هذا الارتباط المعظم بقاء ذلك الكون الى أجله المحدود تتوارد عليه عوامل الترقي كلما كشف العلم عن أسراره وأبان البحث والتنقيب خفاياه (سنة أن ولن تجد لسنة الله تبديلا)

*) لعل الكاتب يعني بالمنجمين غير علماء الفلك الذين يبنون اقوالهم على المشاهدات والقواعد الصحيحة فان هؤلاء مقطوع في صدقهم اما المعنيون فلعلهم المخرقون الجاهلون الذين يهرفون بما لا يعرفون

أيها السادة : — الترقي في الكون لا يقتضي تغييرا ولا تبديلا في نواميسه (لا تبديل لخلق الله) والا لانقلبت الحقائق وذلك ضرب من المحال وانما ترقي الكون عبارة عن تحسين مادة اجتماع العناصر التي تتآلف منها كتناسب الاوضاع وتوفيق الالوان واتحاد المشارب واقتراب ما تنافر منها بالمعالجة بالعلم والتربية .

انظروا الى الانسان الاول واحتياجاته فكم علم حتى عمل حتى وصل الى ما هو عليه الآن من المدنية الباهرة والذي يكفل ذلك انما هو العلم الصحيح . هذا مبدأ صحيح وقاعدة يجب الاعتماد عليها و إلا ساءت الحال وقبح المآل فاذاً يجب على المتعاونين والمتعاقدين قبل دخولها في التعاون والعقد الاتحاد والائتلاف وما أحرى الزوجين أن يكونا كذلك فهما ان لم يأتلفا كانا مدرسة شقاء لابنائهما ومهيع فساد لذريتهما فتعارف الرجل وامرأته قبل الاقتران بها أمر ضروري طبيعي حتى يتم ذلك التقسيم الشرعي في قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فالخبيث يرى الخبث فضيلة في غيره والطيب لا يرى الفضيلة في غير الطيب والا وجب حل العقدة وفك الشركة وقد جاء في الحكم عن العرب «ان لم يكن وفاق ففراق» فمها تغيرت تلك المبادئ الطبيعية أو تنكرت فعلى ممر الزمان يضطر الى الرجوع اليها هذا ما حدا بالاوروبيين الآن الى ان يحلوا عقدة الزواج بمجرد اختيار أحد الزوجين وقد بلغ التنافر ببعضهم الى حد مدهش هو ما روته بعض الصحف من طلاق امرأة زوجها لكون لون شعره لم يأتلف بصبغ أثاث منزلها الذي أنفقت فيه مبلغا طائلا وما أظلم تلك المرأة التي لم تر بيع أثاثها أولى من بيع بعلها ! بل ما اظلم الشريعة أو القانون الذي يقرها على صنعها ! . فعقدة الزواج عندنا يا حضرات الاخوان عقدة ذنب عقدت مصالح اسرية كثيرة يجب ان نضعها دائما على خارتة البحث والتفكير

والترقي في الكون له أسباب كثيرة وأول أساس فيه المال وما ورد في شريعتنا الغراء من مقال الزهد في المال والتحذير من فتنة الدنيا فانما الغرض منه البعد عن اكبر رذيلة تلصق بالانسانية الا وهي الحرص الذي هو عبارة عن حب المال لذاته وهذا اقبح مايكون في الانسان

ومن الترقي في الكون الاقتصاد في المادة للمحافظة على قوتها التامية لان الاقتصاد هو التوسط فاذا أضعف الارض نبات ضروري كالقطن مثلا وجب أن يستنبت فيها عاما بعد عام حفظا لحياة الارض ويمكننا أن نقيس على هذا المثال الكبير غيره حتى نصل الى أقل الخلائق : النملة تدّخر قوت شتائها من صيفها فمخالفة هذه القاعدة عصيان للترقي وجفاء للتقدم، والفلاح الذي يزرع الارض قطنا عامين متواليين طمعا في سعة الرزق جاهل غبي يختار كثيرا ينقطع عنه على قليل يدوم عليه وقد قالت العقلاء (قليل تدوم عليه خير من كثير تنقطع عنه)

ومن الترقي في الكون المدنية العلمية وذلك بايجاد الصناعات والصعود بها الى مدارج الترقي حتى تصل الى تسخير الجماد ليأخذ عن الحيوان ما يجهده كاستخدام البخار والكهرباء لاراحة الحيوان واتجاه قوى الانسان الجسمانية الى مساعدة القوى العقلية وهذا سبب صحيح لترقي العمل والصناعة فان الصانع المفكر لا يشك في أنه يأتي بصناعة متقنة لا يوفق لها الصانع المسخر وشتان بين من يعمل بواسطة عقله ومن يعمل بما اعتادت عليه يداه . اني لا أغلو في هذا المكان اذا قلت أن في خبايا الكون الى الآن اسرارا تستخرجها العقول على مدى الايام . وقد اثبت العلم أن عقول أهل الطبية الحارة أذكى من عقول أهل الباردة فاحتسب على الشرق ان استعمل عقله أن يأتي بما لم تستطعه الاوائل

ومن الترقي في الكون العمران . والانسان وان كان مكلفا بهذه الوظيفة السامية الا انه من العجيب أنه اذا اتسع به الفضاء ادركته الوحشة ومال الى الانس فانضم الى غيره من بني جنسه ليعاونه اولا على مصالحه وليأتنس به ثانيا فاذا ضاق به المكان كره الزحام ومال الى الاثرة وحب النفس وتنازع البقاء مع أقرب الناس اليه وود لو كان هو كل الانسان فما أعجب هذا الانسان . ثم يوجد في المزاحمة كبير فائدة من حيث العمران فقد قال الرسول (ص) «الرزق عند تزاحم الاقدام » الا إنه يلزم ان يكون الناس على نظام يكفل لكلٍّ حقه فيقف الاجشع عند حده ويساق العالة الى العمل متى قدر عليه وذلك بحرمانه من الصدقة والاعانة وقد ورد عن ابي مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية أنه مما أوصى به أولاده عند قرب منيته ان لا يعينوا

كلا ولا يعطوا عالة فيكون في جسم الامة اعضاء تألف الكسل في العمل وحتى لا يوجد دجال ولا ذو عرافة وشحاذ قادر على العمل

هذا القانون هو النظام الذي يسنه الله لعباده إما بطريق الوحي وإما بالهام حكماء الامة وعقلائهم وضعه لذلك . تجدعالم الوثنية قائما في بعض الجهات على قواعد وقوانين وضعها الرؤساء لاتخرج عن النظام والترتيب في المعيشة بل قد تكون أشد في التكليف من الأوضاع الالهية وقد أكد لي خبير ان اليابان على ماهم عليه من الوثنية على كعب عال في الاخلاق ويؤيد ذلك بزوغ شمس الحكمة من الهند من قديم الزمان أي قبل أن يصل اليهم الاسلام وعلى أثر ذلك نقول ان فطرة كل مخلوق هي قيامه بالعمل لنفسه اولاً ولما خلق لاجله ثانيا فالمعادن متى أخذت قسطها من خواص الارض وظلت نافعة كان ذلك لفائدة غيرها وكذلك النبات ترى النخلة تبحث بجذورها على الماء فقدتدركه على بعد مئة ذراع أو أكثر وذلك بجهد لو قام به حيوان لأنَّ أنين التعب الكادح وكثيرا ماشوهدت جذور النخلة تساقط من بين جدران الآبار الى الماء وبينها وبين تلك الآبار مسافة واسعة . كل ذلك الغرض منه حفظ حياتها لتؤدي وظيفتها التي خلقت لاجلها الا وهي تقديم الرطب الجني لبني الانسان وكذلك الحيوان يعمل أولا لقوام حياته ومنه مايبذل تلك الحياة الثمينة التي تعب في نموها ويتقدم بها الى غيره ضحية لينتفع بها ذلك الغير كدودة القز المعلومة التي تظل تعمل لتقدم لنا مادة من أنفس المواد لطافة وأغلاها قيمة ألا وهي الحرير . ومنه ما يتفضل علينا بما يخرجه من بطنه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس كما أخبر بذلك خالق النحل وموفقها الى هذا العمل الكبير الذي لايطابق بنيتها حيث قال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

أيها السادة — ما الذي ترونه في هذا الترتيب؟ هل في هذا الترتيب خرق؟ حاشا، هل في هذه الفطرة ظلم وشر؟ كلا، فمن أين يجيء الشر ومتى يكون المخلوق شريرا؟

انظروا الى الترتيب الآتي أيضا : تتكون المعادن من مادة الارض فتنقصها وكذلك النبات والحيوان ثم تعود تلك الاشياء اليها ولو باستحالة الصورة فتسد موضع النقص منها وهذا سر البقاء للكون فاذا أراد الله اذهابه اختلفت هذه النسب فيحصل الفساد . ذلك ماجنح له كبار علماء التفسير في قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه) فاذا أراد الله القضاء على العالم انقص الارض والانقاص من الطرف مبدأ طبيعي عند ارادة إبادة الشئ وذهب قوم الى ان طرف الارض عبارة عن قطبيها ولكني أقول ان طرف الارض هو مجموع سطحها فكل نقطة فيه تسمى طرفا فكأن مجموع سطحها أطراف لها ولذلك عبر سبحانه وتعالى بلفظ الجمع فقال « ننقصها من أطرافها » ولوكان النقص من القطبين كما فهم بعضهم لعبر الله تعالى بلفظ المثنى أي من طرفيها كما هي سنة القرآن الكريم في الاخبار على أن الجزء الذي فيه الانقلاب والتغير من الارض انما هو سطحها وهو الذي يعقل ان يعتريه النقص

جعل الله بقاء هذا الكون بتبادل الاشياء الثلاثة وغذاء بعضها من بعض فالارض تأكل نباتا وحيوانا والنبات يأكل أرضا وحيوانا والحيوان يأكل من الثلاثة وهذه الثلاثة تنقسم الى مراتب بحسب القوة والضعف بحيثيات مختلفة فمن حيث ان الحركة والقوة في العمل ظاهرة للحيوان كان هو أقواها وأرقاها ومن حيث ان الارض هي أم الكل منها تخرج واليها تعود كان الجماد أقواها وأبقاها واذا بحثنا في الاشياء الثلاثة نجد في كل منها شيئا من الضرر في غيرذاته اي بالنسبة لغيره فقد يكون الجماد ساما كالمعادن الحريفة الشديدة القبض وكذلك بعض النبات والحيوان . ومن الغريب ان الحيوان الغير الناطق خاصة يميز بها من النباتات السام من غيره فيجتنبه والطيب من الخبيث فيرعاه ولا يعقل ان تكون الاجسام السامة عديمة الجدوى بل قد تكون نافعة لكذا وضارة بكذا على ان المدقق في الطب القديم والحديث على الجواهر السامة ومن يصدق منا ان البقدونس وهو النبات الطيب المفيد للمعدة والمثانة يقتل الببغاء بمجرد تعاطيه !

علم مما تقدم ان الكائنات الثلاثة متماسة وان منها ما لايجدقوته الا بالافتراس وان الانسان على ترقيه العظيم ماهو الاحيوان مفترس الان ما أوتيه من الذكاء والتدبير جعل

طبيعة الافتراس فيه منتظمة: الانسان بصطاد الحيوان فان كان دينه يلزمه بتذكيته (ذبحه) ذكاه والاخنقه أو عطبه او وقذه وفي الذبح بالطريقة الشرعية تخفيف على الحيوان بشرط مراعاة أحكام الذبح الواردة . ولذا كان الذبح من أهم المقاصد الشرعية والديانة الموسوية لما فيه شروط مؤكدة ولا يعد الذبح تعذيبا للحيوان فانه يؤدي به وظيفة خلق لها قال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) والطبيعة الغذائية في الحيوان كله تشهد بأن الانسان من الحيوانات أكالة اللحم ولو امتنع عن أكل اللحم أربعين يوما ضعف مزاجه جدا وربما يعرض مرضا شديدا لو استمر أكثر من ذلك اللهم الا اذا تعود الامر وحينئذ يصير أكل اللحم ضاراً له . الذبح عبارة عن قطع الودجين وانما يقطعان في لحظة فلا يكاد يحس الحيوان لان الجسم حينئذ يكون انفصل عن المخ الذي هو مركز الاحساس

نعم ليس في ذبح الحيوان تعذيب . وانما التعذيب هو أن يعيش عاملا فوق طاقته أو يكون على خلاف طبعه وهي الحال التي تقضي على ذوي العقول بالانتحار تخلصا من شر الحياة . ورد عن الرسول (ص) « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وجاء عن بعض الفلاسفة أنه رفع عن أكل اللحم مدة حياته كأبي العلاء المعري وقد فهم قوم ان الذي حمله على ذلك رأفة منه وشفقة على الحيوان هذا ان لم نعتقد أنه ناشيء من فاقة كان عليها ذلك الحكيم كما جاء في بعض رسائله ومثل هؤلاء من يضرب على نفسه بسور من حديد حتى لاتلازمه الحاجة الواسعة فيشقى في طلبها . على أن الامر ليس كذلك فحاشا ان يجهل المعري ومن نحا نحوه من الفلاسفة أسرار التكوين وانما الغرض من ذلك ان يكسر سورة نفسه فتتجرد من حجاب الجسم الكثيف الذي تزيده الشهوات واللذات ظلمة فتصفو صفاءها الذي ظهر في شعره الحكيم . وهذا هو السبب الحقيقي الذي فرض الشارع لاجله الصوم تقليلا لتلك الشهوات

اذا تقرر هذا المبدأ اقول ليس في الحيوان شر قط خصوصا ما كان منه ابله اذ لافكر توجد به امراض القلب كالحقد والحسد والغرور والاثرة وغير ذلك من أمراض الانسان فكما ان العقل زينة له كان هو مصيبة عليه ذلك مذهب عامة

الفلاسفة يدلك على ذلك ترفع الاسد عن العودة الي فريسته مهما نهكه الجوع لكونه يأنس من نفسه قوة تهيئ له طعامه متي شاء

وربما اتئنس الانسان بوحوش الحيوان ووافق الثعبان فلا يرى منه الا المسالمة المطلقة ويأمن له أ كثر من أخيه الانسان قال ابو العلاء المعري رحمه الله :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذعوى وصوَّت انسان فكدت اطير

وهذه الحكمة مبنية على ماتقدم من انه قد يوجد الانسان بين جماعات ادنياء من الناس فلا يأمن على حياته منهم ويفضل وجوده مع الوحش على وجوده مع هؤلاء الناس . وما كان خلقه من الحيوان الأذى والضرر كما نظن فانه لا يخرج أيضا بهذا الخلق عن كونه يؤدي وظيفة اضطرته اليها طبيعة فيه كالفأرة مثلا تترقب فرصة الليل السادل خيمته على العباد فتبيت تقرض طول ليلها فتفسد الاثاث والرياش ويعلم الله انها لا تعلم له قيمة ولا تتصور له لطافة وما ذلك الا لكونها خلقت حادة الاسنان ترتاح كثيرا لتشغيلها وكذا العقرب ليس بينه وبين غيره ثار فيخرج ليأخذ به بذنبه ولكنه لكونه خلق أعمى تراه يخشى دائما في سيره فيتحصن بذنبه وهذا خلق فيه فلا لوم عليه

فان قلت اذا كان الامر كذلك فكيف اباحت الشريعة الرشيدة لنا قتل هذه الحيوانات ؟ قلت ان هناك مبدأ عمرانيا ضروريا هو اتلاف الحقير لحفظ العظيم ويقابله في ذلك قاعدة أصولية هي : إتلاف الثلث لاصلاح الثلثين جائز

فاذا كان من خلق الفأرة العبث بالاشياء الصالحة وجب قتلها حتى تحفظ تلك الاشياء من التلف كما اذا كان عضو من الاعضاء ضارا بالجسم وجب قطعه وعلى ذلك أباح الشارع أيضا الحكم بالاعدام على القاتل وهو ذلك العمل الذي هو عبارة عن إزهاق الروح ومصادرة الباريء جل وعلا في منحة عباده صفة الحياة فكيف يصح للشارع وهو الذي ينكر ذلك العمل الفظيع بالامس ان يأتي به اليوم وقد استفظعه من غيره ؟

يقال ذلك إذا كان الغرض من الاعدام الاخذ بثأر المقتول فقط ثم إنه لا فائدة تحصل للمقتول أو لاهله من قتل القاتل كلا انما الغرض من القصاص تأديب

من كان في نفسه مطمح الى هذا الجرم فيرى انه مقتول لا محالة والنفس عزيزة خصوصا اذا كانت الجرأة على القتل بعامل ليس له كبير تأثير فيها كالاختلاس مثلا أما اذا ضاق بها الامر وكرهت البقاء عليه كالذل والضيم والظلم وهتك العرض ورد الصائل تقابلت الصدور بالسهام ورأت اللذة في آلام الحمام

يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراض لنا وعقول

وهذه حالة استثنائية عسى لا يؤاخذ القانون مرتكبها لان النفوس في ذلك تفقد رشدها بخلاف القتل باسباب سافلة ولا يتأتى ذلك الامن الجبناء فكان القصاص لاحدهم أعظم رادع هذا هو معنى الحياة الذي استنتجه عقلاء التشريع من قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون) لولا هذا النظر ما استفاد أهل المقتول من القاتل شيئا أما أخذ الدية فهو أمر ثانوي قد يكون فيه سلوان لاولياء الدم متى كانوا فقراء وليست بمتيسرة في كل الاوقات ، على ان المروءة والاباء يأبيان أخذ الدية خصوصا متى كان القتل حاصلا بسوء القصد وذلك يشفي صدر أهل القتيل بموت عدوهم وليس هذا بشيء ولا بعيد أعراني متى قصر النظر عليه فلو قابلنا كل شيء بشيء مثله في التلف لما مكثت الدنيا أكثر من مئة عام مثلا : عمرو هدم بيت زيد وزيد يهدم بيت عمرو وخالد مزق ثوب بكر وبكر يمزق ثوب خالد ... !

أما اذا كان القتل اتفاقا وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر أو كان بمحض الخطإ فان الدية لا بأس بها متى تيسرت

ومن الترقي في الكون التمتع بحرية العدل واقامة قانون تدين اليه جميع الرؤوس يكفل التساوي بين الناس في حقوقهم . ذلك القانون كان في قديم الزمان عبارة عن أحكام اصطلاحية تتفق عليها الامة سواء أكانت حكيمة أي مطابقة للناموس العام كالشرائع السماوية والاحكام الديمقراطية أم موافقة لاجواء البلاد واجسام سكانها كالاحكام العرفية التي تختلف كثيرا باختلاف الاجيال واستعداد الاجسام. يأتي في الامة جيل لا يردع الا بالسوط ، كما يأتي فيها عينها جيل يؤدبه الصوت .

هنا توجد قاعدة ينبغي ان نذكرها لمناسبة ذكر العدل الا وهي قولهم (التساوي

في الظلم عدل) كيف يكون التساوي في الظلم عدلا وكيف يصح ان يكون الظلم مضدا للعدل والعدل مصدرا للظلم مثلا ؟ نعم قد يضطر الانسان احيانا الى استعمال الظلم معتقدا انه ظلم اذا لابد منه ولكنه حينئذ لايسمي ظلما وانما يسمى سياسة وهذه القاعدة واسعة الدائرة تشمل القيام على حقوق الانسان والدخول في شخصيته متى كان لا يحسنها وذلك كالحجر على السفهاء والقيام على اليتامى والوصايا على القاصرين ومصادرة السكارى والضرب على ايدي المقامرين ومنع الربا واحتسابه الى قدر معلوم وغير ذلك كما هو خاص بالاحوال الشخصية التي ربما يقال ان الاتفاق فيها يبررها نعم انه يوجد في قواعد التشريع أيضا قولهم لا مشاحّة في الاصطلاح ولا حكم بعد الاتفاق . والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وبنيت على تلك القواعد احوال اهمها إباحة القتل للمتبارزين كما في قانون نابليون الا ان مثل تلك الاتفاقات قد تضر با لمجموع الكلي اذ انه مركب من الافراد فساغ إذًا للحكومة القائمة عليه المسئولة عنه ان تضرب على ما يتطرق اليه من الفساد ولو أدى ذلك الى مصادرة الافراد

بقي لنا في هذا المركز نقطة يجب أن نعرض لها لا لاوافيكم علما بها حاشا فانكم عالمون متمدنون اعلم مني بها وانما أرجو ان تنشروها فيعرفها الجاهل الاوهي كلمة الحرية التي كثير من جهالنا ينطقون بها ولا يفهمون معناها الحقيقي نعم كثير من الناس من يجهل معنى هذه الكلمة بل بعضهم يفهم منها عكسها عكسا مضطردا ويرى ان الحرية في إطلاقه يعني في الارض بسكر وعربدة وتهتك وابتذال وان الرجل والمرأة في ذلك سواء . فتخرج متبرجة على ما يخالف جميع أجناس النساء الكاملات تحجب وجهها وتكشف زندها وتستر رأسها وتكشف عن ساقيها واذا كست زندها بالقفازين (الجونتي) اظهرت جيدها . ولبعض الرجال معايب ربما ساوت هذه المعايب المتقدمة مما يدل على الانسان المصري في هذه البلاد معكوس الحال ولو امكنه أن يمشي برأسه لا تقلب يمشي عليه جريا في العكس المضطرد! ماهذه الحرية أيها السادة؟!— ان الحرية كما لايخفى عليكم عبارة عن التساوي الممكن بين أفراد الناس وهو المبدأ الذي يجب المحافظة عليه ويجب الحرية أول من يحترم حقوق الغير محافظة

على حقوقه هو إيضاوهو أول من يقول بالآداب وتربية النفس لتمتثل الناس باحاسن العادات ومكارم الاخلاق فتتمتع بمواهبها وتطلق عنان فكرها في ميادين حريتها بما لايخرج عما وضعه قانون عمرانها وأقره عقلاء امتها

الانسان _ ايها السادة _ مطلق مقيد وليس هذا بعجيب بل هذا من لوازمه وليس ذلك حاطا من كرامته ولولا ذلك لاشبه الحيوان لانه لو كان مطلقا فقط لاشبه سوام الماشية وهمل الحيوان كالكلاب والقطط ولو كان مقيدا فقط لاشبه اذلاء الحيوان كالحمار والبغل والجمل فجهة اطلاقه هي جهة حريته يتصرف فيها كيف يشاء لايسأل عما ملك ولاعما وهب بشرط أن لايخرج ذلك عما قدمناه . وجهة تقييده هي جهة قيامه بواجباته كاداته لامه وابيه وزوجه و بنيه وفصيلته التي تؤويه وملازمته عادات قومه الضرورية التي قد يختل النظام بتركها كترك لغته باستعمال غيرها واحتقاره مصنوعات بلاده وغير ذلك مما نراه سببا في انحطاط كثير من الامم وادائه أيضا لجامعته ووطنه حتى يعمل هو ايضا لغيره كما قدمناه في تسبيه الحيوان والنبات

ايها السادة — اني اذكر لكم نتيجة استنتجتها مما كتبه العلامة ابن خلدون في هذا المقام تحت عنوان (المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض وان الربع الشمالي منها اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك) افاض الحديث هذا العالم الجليل و بعد ان عرف الارض وخططها وذكر منها خطوط الطول والعرض ومدار الكواكب واختلاف مسقط اشعة الشمس باعتبار الزوايا الثلاث برهن على أن الجزء الشمالي منها كثير العمران وذلك بسبب توفر الرطوبة فيه حيث قال

« وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لايكون الا بالرطوبة » ولا بأس هنا بذكر جملة فلكية عن هذا الاستاذ اتماما للموضوع قال « اذا مال رأس السرطان عن سمت الرؤوس في عرض خمسة وعشرين فما بعده _ اي بعد هذا العدد _ نزلت الشمس عن المسامتة فيصير الحر الى الاعتدال

او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا بنقصان الحر وان كيفية البرد لاتؤثر عن أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر وأوفر والله أعلم » اه

هذا الربع هو عبارة عن قارة أوربا وهي حقيقة أعظم القارات عمرانا وتيجتي من موضوع هذا العمران الكبير هي ان الحضارة والعمران الغربي انما هو نتيجة طبيعة القارة لا أن للاور بيين عقولا استثنائية تفاوت عن غيرها كما يفهم بعض المفتونين بالغرب . واذا كنا نحن أبها السادة لانجد من طبيعة جونا معينا كهؤلاء افلا يجمل بنا ان نماض ذلك من أنفسنا قوة وشجاعة حتى نتساوى مع اولئك الاوربيين ولعل ذلك سر ذكاء اهل البلاد الحارة فان الله الحكيم العليم يبعث بالمعونة على قدر المؤونة فاعطانا ما أنقصه منا من خاصة ارضنا ذكاء وجلدا حبذا لو قدرناه واستعملناه

ومن أسباب الترقي في الكون المطاوعة لمقاديره والتصرف في حوادثه وذلك مايعبر عن ضده بالجمود قال افلاطون : لاتكرهوا اولادكم على اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم ، وهذا أمر ضروري انلم يكن طوعا فليكن كرها ولشرعنا فيه نظر حكمة ورشاد قال الله تعالى (مانفسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) يعني اذا نسخ الله حكما أتى لنا باحسن منه أو بمثله في زمان أو حال يناسبه حيث كان لاتناسبه حاله الاولى وليس ذلك بكبير على الله لانه ليس الغرض منه ان الله تعالى يجهل موافقة الاحكام لاوقاتها حاشا فهذا شيء مستحيل عقلا انما الغرض من ذلك وضع مبدإ للمكلفين يتصرفون فيه بحسب ضروراتهم والنسخ بالبداهة لايتأتى الا في المعاملات المبنية على الاوامر والنواهي وليس بمعقول ان ينسخ توحيد بغيره ولا ان تبدل صلاة بصلاة بل قد يتبدل الحكم بغيره للتخفيف أو التشديد كنسخ

الوصية للاقارب بالميراث وعدة الوفاة من الحول الى اربعة أشهر وعشر ذلك كما قال العلامة الخطيب الشربيني لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره . اه وكان لسيدنا عمر رضي الله عنه في ذلك أحكام خاصة منها ايقاع الطلاق ثلاثا دفعة واحدة واقامة صلاة التراويح في عشاء رمضان واحكام استثنائية كثيرة في معاملة أهل الذمة لاتخرج عن كونها سياسية اكثر منها شرعية

ومن الترقي في الكون ايجاد قوة الجماعة كاشتراك الافراد في الاعمال واهمها هذه الشركات ومن يكن في ريب من ذلك فليسأل عنها الجالية الاوربية النازلة بنا حيث انا لم نوفق لها حتى الآن نسأل الله حسن التوفيق

هذا ـ أيها السادة ـ ماحضرني من اسباب الترقي الضرورية . وهناك اسباب كمالية لاتخرج عن تحسين ذلك النظام البديع منها الجمعيات والمنتديات والمتنزهات وهي وان كانت كمالية الا انها لابد منها لكل أمة بغية الوصول الى الكمال والله الهادي الى سواء السبيل

آثار علمية ادبية

﴿ اسماء عربية لمسميات افرنجية ﴾

عني اعضاء نادي دار العلوم بمصر بالتنقيب عن اسماء عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسماً جديداً او عربوه والاشتقاق والتعريب ليسا جديدين في اللغة بل هما جائزان وواجب ان يصار اليهما عند الحاجة . ونحن ننقل للقراء ماوقع عليه الاختيار في الاجتماع الاول لأعضاء النادي وسنثبت كل مايختارونه على ان كثيرا من هذه الكلمات قد استعملت من قبل واقر الاعضاء على استعمالها اقرارا وهذه هي الكلمات:

(استمارة) يرى اعضاء النادي استعمال (استمارة) وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا إثبات التاء

لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره

(افنيتارو) ترجمت بلفظة (مدرَّج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها

(بلوك نوت) تعريبها (اضمامة) ومعناها الاوراق منضمة

(بويه) نظرت اللجنة فيا يستعمل للتلوين فوجدته على نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة (صبغ) كصبغ الثياب والورق وما اشبه · ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة (طِلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

(تخته بوش) وهو مايسميه الافرنج (véranda) وتعريبه (نجيرة) فقد جاء في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

(ترابيزه او طاوله) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعا : فمنها ما هو للأكل وهذا (خِوان) ويسمى حين وضع الاكل عليه (مائدة) ومنها ماتوضع عليه الاشياء المختلفة وهذه (مِنضدة) مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحرّ المتاع وخياره · ومنها ماهو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة (مكتب) المستعملة

(ترسينه) ان مايخرج عن البناء منه ماهو مغطى وهذا يسمى (كُنَّة) ومنه ماهو مكشوف وهذا (طَنَف) والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار · على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي (شرفة) وقد كثر استعمالها · وقد ورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها اللجنة لفظة (مرمى) على ان كلمة (محج) الشائعة في سورية تؤدي نفس المعنى

(خارطة) وصحيحها (خريطة)

(دوسيه) تعريبها (مِلف)

(شماعة أو تعليقة) وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين: أولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة (غِدان) وهو في اللغة « قضيب تعلق عليه الثياب » والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة (شجاب)

(طابور) الكلمة عربية حُرِّفت وصحيحها (تابور)

(كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولامانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)

وقد رأت اللجنة ايضا استبدال(سينماتوغراف) بكلمة (خيالة)(*) وهي كل ما تراءى لك من الصور (وفونغراف) بـ (الحاكي) و (ميموغراف) (بمطبعة النضح) و (تيب ريتر) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة (الآلة الكاتبة) او (الكاتبة) فقط أقرب من مطبعة الازرار

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تقرير السر الدن غورست سنة ١٩٠٩ ﴾

اصدرت ادارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ اكثر من شهر مترجماً بالعربية حسب عادتها وقد اهدت الينا نسخة منه ضاق المنار الخامس عن الكتابة عنها. وهذا التقرير حافل بالتفصيلات عن ادارة القطر المصري وروح الاعمال فيه وقد سرنا من هذا التقرير الفصل المعقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتاتيب والعناية بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج مما يدل على ان هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وثماره يانعة ان شاء الله تعالى

تقدم العلم في هذه البلاد نام سريع ولا نريد بتقدم العلم توفيق قومنا للاختراعات المفيدة والاكتشافات الجديدة وانما نريد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه فاننا لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول الى هذه الغاية على اننا سائرون في الطريق وعلى الله قصد السبيل . وانه ليحزننا ان تكون التربية في ارتكاس وانتكاس وتدلٍّ وانحطاط

(*) المنار : الصواب ان يقال : استبدال (خيالة) بكلمة (سينماتوغراف)

وليس العلم بمبلغ إيانا آملا إذا لم نترب تربية صحيحة تغرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين وانه ليؤلمنا ان تكون مدارس الحكومة والمدارس الاهلية شرعاً في اهمال امر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الاجانب التي تخلق تلاميذها باخلاق يخرجون بها من قوميتهم ونحلتهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا ولا حول ولا قوة الا بالله

فتن قومنا بالسياسة فصرفتهم اكاذيبها عن العمل النافع لهذه الامة التعسة وصدفت بهم عن الطريق المعبَّد والسبيل اللاحب ، فتاهوا في بيداء طامسة الصوى والأعلام ، واوغلوا في تأويل الرؤى والأحلام ، وخدعوا الناس بزهو القول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالأعمال الجسام ، اللهم عونا وغفرا ! هل جني من قبلنا من السياسة ما كانوا يطمحون اليه حتى تكون لنا اسوة حسنة بهم فنغذ في السير على آثارهم ونقتفي سيرتهم فتكون متابعتنا لهم حذو القذة بالقذة ؟ ! اللهم لا !

فنهضة أيها القوم وانفضوا سراعا وانسلوا من كل حدب الى مهيع العلم الصحيح والتربية الصالحة ولا يتم ذلك إلا بنشر التعليم الأهلي وان أهل الثراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد ولا نرى انهم يرتضون لانفسهم ان يكونوا دون جمعية الضالات في فرنسا التي انشأت مدارس كثيرة أو دون تلك الفتاة الامريكية التي أسست احدى عشرة مدرسة كلية !

ولعلنا ننشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المنار السابع

***

﴿ مبادىء الفلسفة القديمة ﴾

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي ان يقدم قبل تعليم فلسفة ارسطو) وكتاب (عيون المسائل في المنطق ومبادىء الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الاسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عنيت بنشرها المكتبة السلفية لصاحبيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان . طبعت بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ وثمنها قرشان ونصف قرش وتباع بمكتبة المنار وبالمكتبة السلفية بمصر

اهدت الينا المكتبة السلفية هذا الأثر القديم لأحد فلاسفة الاسلام الاعلام مصدرا بترجمة حفيلة للمؤلف فيها بيان أصله ومنبته وطلبه للعلم وحكاياته مع معاصريه

من العلماء والامراء وذكر ملخص تأريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلسفة و بيان مصنفاته وغير ذلك من الاشياء التي تعرّف بالمؤلف تعريفاً تاماً ومما جاء فيها بعنوان « فلسفته » اي فلسفة المؤلف ما نصه :

« ولم يكن للفارابي فلسفة خاصة به ، أو مذهب فيها أُثر عنه ، وغاية ما يمكننا التوسل به للوصول الى معرفة آرائه ومبادئه هو مصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبعثرة والفصول والتعاليق كما ذكرنا

« ومن أهم ما صنفه كتابه في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه . وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة اقسام : ١ — علوم اللغة ، ٢ — علم المنطق وفيه الخطابة والجدل ، ٣ — الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقى وجرّ الأثقال والاحجام ويدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والأحلام وعلم الجوّ والهواء ، ٤ — العلوم الطبيعية وهي عشرة ، ٥ — العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة ، ٦ — علم الكلام وما وراء الطبيعة .

« وهذا التقسيم كثير اوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء اوربا في العصور الاخيرة ، والفارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات واكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية . ويلاحظ قراء كتب الفارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الاصول والفروع وذلك ما اسس عليه كونت خطته في تقسيم العلوم ثم هذبه هربرت سبنسر ونقحه . »

نقلنا هذه الفقرة ليطلع عليها اهل الجمود الذين باتوا يحرمون ممارسة هذه العلوم والتوفر على دراستها عسى ان يتزحزحوا عن مواقف جمودهم فيخرجوا من مأزق مناقشاتهم وتمحلاتهم النظرية الى فضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدنيوية العملية واذا كان يعز عليهم احتذاء الاوربيين فلهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين

والكتاب مفيد في بابه بل لانظير له فهو كفهرس جامع لتعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لاصولها وله فهرس حاو لاسماء الاماكن والاعلام الواردة في الكتاب

وهذا من محسنات الكتاب ومنها جودة الطبع والترتيب فنحث الراغبين في تعرف الفلسفة القديمة على اقتنائه



﴿ القطار السريع لعلم البديع ﴾

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفني بك ناصف القاضي بالمحاكم الاهلية ومدرس علم الادب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق وقد اختار المؤلف شرح بديعية تقي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلتها بين الادباء ولأن في ابياتها ذكر الأنواع البديعية. مثال ذلك قوله في مطلعها مشيرًا الى حسن الابتداء وبراعة الاستهلال :

لي في «ابتدا» مدحكم يا عرب ذي سلم « براعة تستهل » الدمع كالديم

وقد اعجبنا هذا الكتاب اكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد «ان لم يحفظ على الغيب » فانه يوضع في الجيب » كما قال مؤلفه ويمكن للطالب أن يضرب بسهم في علم البديع اذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الاستاذ

انا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فاني أرى معرفته ضرورية لمارسي العلوم العربية لأنه حلقة من سلسلتها فلا يحسن ان يبقى طالب هذه العلوم في محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كمتحلي مذهب دارون مضطر با متلمسا لحلقته المفقودة ! على ان حفني بك قد اشرع السبيل للرغاب في علم البديع وادناهم من هذه الحلقة ولكن من ابن للدارونيين بحفني بك آخر يدنيهم من متآم الواسع ! ؟

وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعا متقنا وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش وتطلب من المكتبات المشهورة



﴿ الاستمناء ﴾

ماذا يقول الملاحدة والكافرون بالله تقليدا في امراض الافراد والأمم

الادبية ؟ وما رأيهم في علاجها ياترى ؟ هل يستسهلون الزعم أن تبيين اضرار هذه الأمراض وسوء عاقبتها للمبتلين بها يأخذ بشكائم نفوسهم ويزجرهم عنها ! ؟ إن كانوا يزعمون هذا — وهم زاعمون — فلا مشاحة في انهم مكابرون للحق مدابرون

لا ريب في ان الاستمناء من افتك تلك الأمراض الادبية في عقول الشبان وجسومهم ولإن انتهى عن ممارسته متنه بتبيين ضرره في جسمه وعقله فقد يزدجر بازائه مئة ممن تأدبوا بآداب الدين وتخلقوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الأمراض الوبيلة لا سيما وان الشبان يؤتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الاقناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تتأصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه! لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب «الاستمناء» الدكتور « ه » فورنيه أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير الى نهي الدين عن الاستمناء وإيعاد مزاوليه بأشد العقوبات، والنصوص مستفيضة في الدين الاسلامي على تحريم الاستمناء وعده من الموبقات الكبائر ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب فني صحي فان الغرض منه الفائدة لا الدراسة

وفي الكتاب فوائد كثيرة ابلغها عظة ذكر مصير ممارسي الاستمناء وما مصيرهم الا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر . وقد انتقدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستمناء الكثيرة التي يتعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون . هذه غائلتها فما فائدتها ! ؟

وهو يباع بعشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات

القضاء والنواب

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري افندي العسلي الدمشقي « قائمقام » الناصرة الم فيها بتأريخ القضاء في الاسلام وادواره واقسامه بعد بحث ودرس . قال : « وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري

وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الامة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني وسمراء الملوك وغيرها »

وهي مفيدة في بابها فنشكر للمؤلف صنعه ونحمده على هديته

معنى الحياة

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقطع الصغير تأليف اللورد افبري من اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي وقدعني بترجمته بتصرف وديع افندي البستاني . اودعه مؤلفه نصائح لنابتة قومه ليكونوا باتباعها سعداء في الحياة الدنيا ومن آكد تلك النصائح واجلها تربية قوة الارادة وصدق العزيمة والشجاعة والثبات وغير ذلك من كرائم الاخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون . وقد ارشد الى فوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الاموال وكون هذين هما اساس مجد الامم . وقد انكرنا على المترجم ترجمته لبعض الفصول بالشعر وتمنينا لو كان احكم إنشاء واصح عبارة . ويطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه ثلاثة قروش صحيحة

النصيحة الاحسانية

قصيدة طويلة للسيد عبدالله بن علوي بن عبدالله العطاس يحث فيها على ممارسة العلوم والأعمال العمرانية وحبذا هذا الصنع من الاستاذ الناظم وعسى أن يكثر من هذا النصائح نظما ونثرا

الاتحاد الاسلامي

جريدة انكليزية اصدرها في (طوكيو) عاصمة اليابان احمد افندي فضلي الضابط بالجيش المصري قبلاً ومحمد بركة الله افندي الروسي وقد اخذا على عاتقهما تفهيم اليابانيين حقائق الاسلام فنعم العمل عملهما وحبذا الصنع صنعهما وقيمة اشتراكها شلنان في العام او عشرة قروش صحيحة وهي قيمة تافهة لاتكاد تفي بنفقات البريد فنحث القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الامكان

حسين وصفي رضا

باب الاخبار والآراء

﴿ جمعية العلم والارشاد ﴾

قد عرف القراء موضوع هذه الجمعية العلمية الخيرية التي رحلنا الى دار السلطنة لاجل السعي لتأسيسها فيها. وقد طال الامد على منتظري خبر تأسيسها حتى يئس اشدهم غيرة وحرصا وكتبوا الينا ينصحون لنا بترك السعي لها في هذه العاصمة ولو يئسنا كما يئسوا لعدنا أدراجنا كما اقترحوا ولكن اليأس مرض صار و بائيا في بلادنا ونحمد الله تعالى أن نجانا منه فلم يجد الى قلبنا سبيلا. نعم إنني كدت أيأس من بعض من كنت أرجو مساعدتهم من الكبراء ولكن رجائي في الله وثقتي بتوفيقه لم يزد في مظنة اليأس الا قوة ورسوخا

بعد السعي الطويل مدة ثمانية أشهر وقع الاتفاق من اصحاب الشأن على تأسيس الجمعية لتكون هي التي تؤسس المدرسة العالية التي نوهنا بها من قبل ووقع الاختيار على ان يكون المؤسسون اثنى عشر وهم :

(١) الشريف جعفر باشا حفيد الشريف عبد المطلب احد امراء مكة المكرمة السابقين
(٢) مصطفى افندي مستشار المشيخة الاسلامية
(٣) مصطفى عاصم افندي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين وأحد علماء الآستانة
(٤) موسى كاظم افندي من العلماء واعضاء مجلس الأعيان
(٥) محمود أسعد افندي من العلماء وناظر الدفتر الخاقاني
(٦) حسن فهمي افندي مبعوث سينوب وأحد علمائها
(٧) سني الدين افندي معاون مشاور الحقوق بنظارة الاوقاف
(٨) فؤاد بك احد أعضاء مجلس شورى الدولة ورئيس كتابه
(٩) اسماعيل حقي بك مدير قسم الإلٓهيات والادبيات في دار الفنون ومدرس الاصول والكلام فيها
(١٠) احمد نعيم بك بابان احد اعضاء مجلس المعارف
(١١) تحسين بك احد اعضاء ديوان المحاسبات
(١٢) محمد رشيد رضا صاحب المنار

وتقرر أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف لهذه الجمعية دائما

هذا وقد دعي الاعضاء الى الاجتماع الرسمي الاول لانتخاب رئيس لهم في ٢٧ جمادى الاولى بدار الفنون . فأما فؤاد بك وتحسين بك فهافي أوربا مع حاشية ولي العهد واما الباقون فمنهم من حضر ومنهم من كان له مانع فكتب ورقة بانتخابه أو وكل من ينتخب عنه . فالذين حضروا هم الشريف جعفر باشا ومستشار المشيخة وموسى كاظم افندي واسماعيل حقي بك وأحمد نعيم بك وكاتب هذه السطور وقد اتفقنا جميعا على انتخاب الشريف جعفر باشا رئيسا لهذه الجمعية وعقدت الجلسة الاولى برياسته فقرئ فيها النظام الرسمي الذي وضعه هذا العاجز فتقرر ان ترسل نسخ منه الى جميع الاعضاء ليدققوا النظر فيه وان استحسنه كل من قرأه منهم وأن يصدق عليه بعد المذاكرة في الجلسة الثانية التي تنعقد يوم الاحد الآتي ثم يقدم الى نظارة الداخلية . وتقرر أيضا ان يجتمع الاعضاء في ضحوة كل يوم احد . فالحمد لله أولا وآخرا وإياه نسأل تمام التوفيق

(تنبيه) ماذكر في بعض جرائد العاصمة العربية من ان الجمعية قررت ان تكون مدرسة دار العلم والارشاد مؤلفة من صنفين كل صنف ٢٠ طالبا لاصحة له فالجمعية لم تقرر في امر المدرسة شيئا

﴿ النظام الأساسي لجمعية العلم والارشاد ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون *

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تأسيس الجمعية ومقصدها)

(المادة الاولى) تأسست في دار السعادة جمعية باسم « جمعية العلم والارشاد »

(المادة الثانية) مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها . وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء المرشدين

(المادة الثالثة) لاتشتغل الجمعية بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا بسياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها)

(المادة الرابعة) للجمعية رئيسان رئيس شرف و رئيس عامل فرئيس الشرف هو صاحب المشيخة الاسلامية والرئيس العامل ينتخب من اعضاء مجلس ادارة المركز العمومي

(المادة الخامسة) اعضاء الجمعية ثلاثة اقسام: أعضاء عاملة واعضاء معاونة واعضاء شرف، فالعاملون هم الذين يقومون بأمور الجمعية بالفعل والمعاونون هم الذين يشتركون فيها بمبلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة أو كل شهر بالاطراد، واعضاء الشرف هم عظماء الامة الذين ينفعون الامة بعلمهم أو مكانتهم من الفضل والكمال نفعا عظيما

(المادة السادسة) مركز الجمعية العمومي دار السعادة ويكون لها في الخارج شعب لكل شعبة منها مجلس ادارة

(المادة السابعة) أعضاء مجلس الادارة في المركز العمومي اثنى عشر عضوا وهم المؤسسون للجمعية ماداموا فاذا استقال احدهم أو خلا موضعه بسبب ما فانتخاب بدله ومجازاة من يخل من الاعضاء بنظام الجمعية الاساسي كل منهما يكون بمقتضى مواد النظام الداخلي للجمعية

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الهيئة العمومية)

(المادة الثامنة) تجتمع الهيئة العمومية للجمعية كل سنة مرة في وقت معين بدار السعادة، وتتألف هذه الهيئة من اعضاء مجلس الادارة من المركز العمومي ومن مندوبي الشعب الخارجية

(المادة التاسعة) الهيئة العمومية رقيبة على مجلس الادارة وهي تدقق النظر في ميزانية الجمعية وفي اعمال مجلس الادارة مدة السنة وتقرر ماتراه في ذلك وماتقرره يكون نافذا بالا كثرية المطلقة فيما عدا ما اشترط ا كثرية ثلثي الآراء

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في أموال الجمعية)

(المادة العاشرة) تتكون اموال الجمعية من الاشترا كات الموقوتة والاعانات

والتبرعات والوصايا والهدايا والاوقاف الخيرية التي توقف عليها ومن ريع رأس مالها ومن أجور التعليم في المدارس التي ستنشئها ، والمبلغ الاحتياطي يحفظ وينمى بحسب مايراه الهيئة العمومية

(المادة الحادية عشرة) مجلس ادارة الجمعية ليس له ان يقرض من مال الجمعية ولا أن يقترض لها الا بقرار من الهيئة العمومية

(المادة الثانية عشرة) تنشر الجمعية في كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ودخلها وخرجها واسماء الباذلين ومقدار مابذلوه لها، ومن ينهى عن التصريح باسمه يذكر بلقب «فاعل خير»

(الخاتمة)

(المادة الثالثة عشرة) يجوز تعديل احكام هذا النظام عند الحاجة بقرار من الهيئة العمومية بأكثرية ثلثي الآراء من اعضائها المرتبة

﴿ رأي محمد عبيدالله افندي في صاحب المنار ومشروعه ﴾

نشره في العدد الرابع من جريدته الذي صدر في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨، وهو:

(المدرسة العربية)

« مشروع الاستاذ الفاضل صاحب المنار »

ان الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أشهر من ان تنوه بفضله للقراء اذ قد عرفه وانتفع بعلمه كل منور العقل من الامة الاسلامية، وقدقدم الآستانة هذا الفاضل منذ اشهر لمقصد شريف ومشروع جليل يدل على مزيد اهتمامه باصلاح الامة الاسلامية وغيرته عليها . وذلك انه ينوي فتح مدرسة عربية في دار الخلافة يدرس فيها كل علم نافع ولا سيما العلوم العربية

وهو لم يزل مقيما في العاصمة يقابل رجال الحكومة من حين الى آخر ويفاوضهم في هذا المشروع طلبا للمعونة من الحكومة بما يلزم لمشروعه من المال . ونحن وان لم نعلم بالتفصيل ماهي العلوم التي تدرس في هذه المدرسة وكيف تكون طريقة التعليم فيها وكم مدة التحصيل الا اننا نعتقد اعتقادا جازما ان مدرسة عربية برأسها مثل الاستاذ ويقوم بتدبيرها وترتيبها لجديرة بأن تكون كثيرة المنفعة كبيرة الجدوى خصوصا والعلوم العربية اليوم في اشد الحاجة الى مجدد كهذا العربي الصريح يسعى

في نشرها واصلاح طريقة التعلم فيها فقد أصبحت يضرب بصعوبة تعلمها المثل عند الناس . وعليه فنحن نادي أولي الامر من رجال الحكومة بأندى صوتنا ان يلتفتوا الى مشروعه بكل اهتمام ونسترعيهم السمع الى مايتزع اليه من الامر النافع وليس ذلك ببعيد من الحكومة التي هي اليوم تضرب على نغم الاصلاح في كل أمر من أمور الامة

﴿ المنتدى الادبي ﴾

أسس بعض النجباء من طلبة العرب في المدارس (المكاتب) العالية في الآستانة ناديا سموه « المنتدى الادبي » وساعدهم على ذلك كثيرون من أهل الفضل والسعة اعانة لهم على ماقصدوا من أمر التربية والتعليم

كانوا قبل ذلك متفرقين قلما يعرف أحدهم أحداً أو يستفيد من علمه وادبه او تجربته الا مايكون بين المتجاورين في مواضع الاقامة من التلاقي والاجتماع في الملاهي العامة التي تسمى في مدن البلاد العربية بالقهاوي ويسمى الملهى منها في الآستانة «قراءتخانة» أي بيت القراءة تسمية لها بخير مايكون فيها وهو قراءة الجرائد فقط ولا يحسبن القارئ انها كحجرات المطالعة او غرف المطالعة المعهودة في بعض البلاد التي يوجد فيها كتب كثيرة تقصد لاجلها لا لاجل اللهو بلغو الحديث او اللعب بالنرد وشرب المنبهات

قام اعضاء ادارة النادي بشؤونه قياما يحمدون عليه فأحسنوا الادارة ونشطوا في تحصيل مبالغ الاشتراك ، وضبطوا الدخل والخرج ، واقتصدوا في النفقة بقدر الاستطاعة ، حتى كان عملهم ـ وهم مبتدئون فيه ـ موضع الاعجاب ، ولكن رأى بعض اخوانهم من اعضاء النادي انه كان في الامكان أن يحسنوا ويقتصدوا أكثر مما فعلوا ، واستحسن هؤلاء ان يستبدل بهم غيرهم ليجربوا كما جربوا ، ورأى الآخرون ان هذا مخالف للقانون فيجب ان يتموا مدتهم التي عينها قانون المنتدى ، فقال المعارضون نعدل مادة القانون ونعيد الانتخاب ، فاجتمعت الجمعية العمومية للمنتدى وبعد المناقشة واخذ الآراء تقرر برأي الاكثرين ان يبقى القانون على ما هو عليه وان لايعاد الانتخاب من نص فيه على انتخاب بدل عنهم او اعادة انتخابهم وكان صاحب هذه المجلة وكاتب هذه السطور حاضراً تلك الجلسة وكذلك

حضرها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي فتشهد ان الخلاف بين الاعضاء فيما ذكر لم يكن بدعا من الخلاف في الاندية والجمعيات او مجالس النواب ولا كان مزلزلا لرجائنا في نابتتنا الجديدة في مدارس دار السلطنة

نؤدي هذه الشهادة وقد سئلناها لأن بعض الجرائد العربية نشرت مقالة بامضاء (سائح متلهف) أسرف بها في انتقاد المنتدى الادبي إسرافا لم نشك عند قراءتها في تعمده التحامل لغرض ليس لنا ان نفتات عليه فيه، ولا نرى فائدة في بيان ماترى من قوادمه وخوافيه، وقد تكون له نية حسنة، استجاز أن يتوسل اليها بتلك الوسيلة السيئة، ومن كان حسن النية لا يصر على خطإه وهو يعلم، ولا يدافع عن نفسه اذا ظهر له الحق وتبين، وقد اساء بعض اعضاء المنتدى الظن ببعض اخوانهم الذين يرجى خيرهم، ولايخشى أن تضر مثل تلك البادرة إن صح عزوها اليهم، فأنصح لهم جميعا ان يغفروا الهفوات، ويجذب كل منهم أخاه اليه بخير ماىراه من جواذب الفضيلة فيه، فالكيس من استكثر من الاصدقاء، والاحمق من استكثر من الاعداء،

﴿ خليل حمدي حماده باشا ﴾

فجعت المملكة العثمانية في هذا الشهر بوفاة هذا الرجل المصلح الاداري القدير، والسياسي المحنك الخبير، نابغة البلاد السورية والمصرية، والحجة الناهضة على علو استعداد الامة العربية، شهد بفضله الانكليز وغيرهم من الافرنج بمصر، واذعنت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة، فان كتم الشهادة له الحاسدون والمتعصبون منهم، فقد نطق بها المنصفون والمستقلون فيهم، وناهيك بشهادة مولانا السلطان محمد الخامس الذي كان يلقبه بالغيور (غيرتلى) والصدر الاعظم حسين حلمي باشا الذي قال عنه انه جاء يعلمنا كيف تدار الامور، ثم بشهادة صاحب جريدة «يكي غزته» وهي أقرب جرائد العاصمة الى الاستقلال، وجريدة «صباح» الواقفة عند نقطة الاعتدال،

ليس اكبر فضل الفقيد في رأيي أنه مانيط به عمل الا واتقنه، وانه كان آية في حسن ادارة الجمارك المصرية، وكان يأتي بالمعجزات في إصلاح نظارة الاوقاف العثمانية، بل اكبر فضله انه كان على حسن قيامه باعباء الحكومة، موجها فضل

الفصل الثاني والعشرون (*)

(الايمان والآيات وخوارق العادات)

قال بعض الناس في تلك الأيام لا عجب اذا آمنت «خديجة» ببعلها فان رابطة الزوجية تستدعي مثل ذلك ولكن ذا القدرة العظيمة قد أتى هؤلاء القائلين بما يعارض مزاعمهم اذ طفق بعض من سمع هذا النبأ يؤمن به ولم يبق المصدق به « خديجة » وحدها فاضطروا أن يخترعوا أسبابا أخرى للايمان به

حرب فكرية قامت أمام هذا النبإ الجديد عند شيوعه، ارتجت له مكة وما حولها، انقسمت الافكار، تباينت الانظار، وفي مثل هذه المواقف يعرف الراجحون بحسن الفطرة، وقوة الفطنة اذ يكونون من السابقين في رؤية الدقائق، والوصول الى الحقائق

قال نفر منهم :

«لقد عرفنا محمداً طول هذه السنين فما عرفنا الكذب صاحبا له، ولا عرفناه صاحبا للخداع، وقد قام اليوم يخبرنا بأمر وقمه ليس هو بدعا من الامور، ولا هو بضارنا شيئا. أتانا يخبرنا بامر يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبي بني اسرائيل ولم يكن أمر موسى الا نافعا لقومه فلعل الله سبحانه يريد أن يُهدي الينا نفعا بواسطة هذا الرجل الصادق الامين مناه»

قالوا :

(*) تابع لما نشر في (ص٣٩٣ م١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبدالحميد الزهراوي

« يقول صاحبنا ان روحا أتاه وأوحى اليه ماأوحى ، ولا شيء من هذا ببعيد عن العقل اذا تأدب العقل ووقف أمام بحر القدرة الازلية الابدية وقفة العارف أن هذا بحر لاحد له ؛ ويقول انه أمر بتبليغ الناس هذا الوحي وما سيتلوه»

قالوا :

« ان هذه الدعوى عظيمة فان كان ماادعاه حقا كان من العار العظيم والضرر الكبير أن نرد هدية ربنا عز وجل الذي اهدى الينا العقل من قبل وهو يعزز اليوم تلك الهدية بهدية أخرى ربما كانت من نوعها وربما كانت من نوع أعلى وهل يرد حامل العقل مثل هذه الهدية بعد أن يذيقه العقل طعم الرشد والمعرفة ويأتيه بروائح ما يهب الفاطر جل وعلا من صنوف المعارف . وان كان ماادعاه غير حق فان حبله سيكون قصيراً لان لدينا عقولا ولا يضرنا حينئذ ظهور أمره »

وقال نفر :

« لماذا يدعي الصادق الامين هذه الدعوى ان لم تكن صحيحة ، هل فقد عقله ؟ كلا فانا لانزال نرى صحته واعتداله على أتمها ، هل تغيرت أخلاقه ؟ كلا فان من الاخلاق ما يرسخ مع كثرة الاعوام وقل ان يثيض الصادق مائنا . كلا بل الامر جد ، والدعوى صدق ، وان لهذا الامر لناصراً من قوة ساقته بعد أن عاش أربعين سنة ـ الى الاتيان بهذا الامر الغريب الصعب عليه ، وان الايمان بقدرة الله تعالى ليدعونا الى اجابة هذا الداعي من لدنه ، وان الاخلاص ليدفعنا الى اعلاء الكلمة التي تنزلت الينا فضلا من ربنا ورحمة ، انا به مؤمنون ! »

كان في مقدمة هذا النفر أبو بكر ذلك الرجل الذي لم يعرف الى ذلك الوقت بعيب عند قومه وليت شعري لماذا تجول الظنون وتحوم في تلمس الاسباب لايمان أمثال هؤلاء الافاضل مع اتفاق العقلاء على أن الذي رسمنا صورته من تفكراتهم هو المطابق لحكمة المعتدلين

القائل ان «خديجة» انما آمنت ببعلها لانه بعلها هو في سعة من ظنه هذا اذا شاء . ولكن بما مهدناه من المثل بايمان أبي بكر نتمنى أن يكون انتفع بمعرفة أن طريقة ايمان « خديجة » كانت أعلى مما يظن

ان الذي آمن به أبو بكر ثم مئات ثم ألوف غيره لايجوز للعاقل المنصف ان يحرم زوجته العاقلة من شرف الطريقة التي آمن بها هؤلاء الافراد ثم الجماعات

ان ظنون الناس تكون على حسب أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم فالذين يصرون على ادعاء أن السيدة «خديجة» لم تؤمن بهذا الروح الجديد الا لان صاحبه هو بعلها هم إما جامدون في معرفة الاخلاق البشرية على شيء يستعيذ العاقل بالله من تفاهته وهو القسم الرديء منها، وإما هم مجبولون على العناد، واما هم مستعظمون لتصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات

نحن لانسوغ لانفسنا أن نعيب أحدا ممن كان حظهم قليلا من علم اخلاق الناس ولا ندعي أنا نستطيع بالكلمات القليلة التي نقولها الآن بمساعدة واذن من الصدد أن نودع في أفكارهم علما جديدا واسعا ولكنا نستطيع أن نذكرهم بان أخلاق الافراد ليست على شاكلة واحدة بل منها ماهو في أسفل السفل ومنها ماهو في أعلى العلى ، ومن الناس من يغلب عليهم من الصدق والاخلاص ما يملك قلوبهم ويجعلها بعيدة عن التصنع

والرياء ، وعن الارتياب بالامور التي ليست غريبة عن محيط القدرة والحكمة والعناية الازليات اذا حدث بها المعروفون عندهم بالصدق والامانة ، ويجعلها قريبة من كل مافيه تمجيد اسم الفاطر جل وعلا وتعظيم مظاهر أمره وسره . وبعد هذه التذكرة نستطيع أن نقول لهم ان سيدتنا هذه كانت من أهل هذا الخلق الجليل كما تشهد سيرتها . ومتى تزحزح هؤلاء عن مركزهم في علم الاخلاق سهل عليهم أن يشتركوا معنا في معرفة أنه ليس محكوما على «خديجة» بالحرمان من الايمان الصحيح المبني على أسباب صحيحة لا على كونه بيلها

وأما المجبولون على العناد ، والغرور والاعجاب ، فلا نتعبهم بسماع أقوالنا اذ ربما أتت ثقيلة عليهم ، ولا نتعب انفسنا بمخاطبتهم اذ قد تأتي علينا ثقيلة . فلهم دينهم فيما توتفهم فيه جبلتهم ولي ديني فيما يمشي معه قلبي

وبقيت لي كلمة مع الذي يستعظم تصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات كثيرة . إن هذا معذور في نظري والتفاهم بيني وبينه سهل لاني لا أطلب ان يترك ما بيده من النظريات بل أمشي معه في الحديث وهي في يده فنبلغ معه غاية حسنة تصلح ان تكون ملتقى لنا معا تشعبت حولها آراء اخرى لكل واحد منا

أنا أقول معك ياصاحبي ان الذي يطالبه غيره بالتصديق له أن يطالب هو بالأدلة والآيات ، ولكن اذا سمعت بصدق ولم تسمع قصة طلبه للدليل والآية فلا تحكم بأنه آمن من غير دليل وآية الا اذا كنت تعرفه من قريب وتعرف أن بضاعته كلها تقليد الآباء والمعلمين

أنت تعرف أن أبا بكر وامثاله ممن صدقوا محمدا (صلى الله عليه وسلم)

لم يكن لهم آباء سبقوهم في تصديقه ، ولا معلمون حملوهم على تأييده ، وتعرف انهم كان لهم حلوم راقية رائقة ، وألباب زكية فائقة ، فهل تظن أنهم صدقوه بغير آيات بينات ، وأدلة ساطعات ؟

المشارب في الاستدلال مختلفة وأخشى ان يكون مشربك فيه كشرب الذين لا يعدون الآية الا الامر الخارق للعادة ولذا رأيت أن لا أودع هذا المقام من غير أن أحادثك بالآيات والخوارق بعد ان اسلفت طريقة « خديجة » على النحو ين لتعلم كيف يمكن أن يكون ايمان كل مؤمن بمحمد (عليه الصلاة والسلام)

اذا وقع شيء خارق للعادة لا يستطيع احد حينئذ أن ينكر انه آية عظمى ولكن ماهي العادة وهل يمكن أن تخرق (أي تخالف) وهل وقع شي من هذا ؟

يعنون بالعادة عادة الاشياء وطبيعتها ويعبر بعضهم عنها بسنة الله تعالى في الكوائن . والذين بحثوا في امكان خرق العادة لم يفرقوا بين شي وشيء بل جعلوا الكلام في هذا الموضوع على اطلاقه ومن هنا اشتد خلافهم . والذاهبون الى وقوع الخوارق لم يذكروا في الامثلة التي أوردوها من صور هذه الخوارق الاشيئا يسيرا جدا لا يصلح ان يلتفت اليه خصومهم فضلا عن أن تكون به قناعتهم

ان لله عز وجل سننا في كل موجود ،أو نقول ان لكل موجود عادة وطبيعة ، والشمس مثلا من جملة الموجودات فهل يقول الذين يعتصمون بالخوارق يمكن أن تصير هذه الشمس برغوثا وتبقى هذه الارض على حالها ويظل الناس فيها ناسا يبصر بعضهم بعضا بغير نور ويحيون هذه الحياة عينها متمتعين بحدائق وفواكه ، ولحوم وشحوم ، ومياه جارية ، وأزهار

زاهية ،وصيف وشتاء وربيع وخريف ... الى آخره ... الى آخره ؟؟

أنا لا أعرف ماذا يقولون ولكني مع ايماني كايمانهم أو أ كثر بعظيم قدرة الله تعالى يجدونني اذا قالوا في هذه المسألة « نعم » مفارقا لهم وقائلا اذا تغيرت سنة الله سبحانه في الشمس فصارت هي برغوثا تتغير سنته فيّ ايضا فأصير أنا غير انسان وغير باحث عن الخوارق

الذكي يفهم من هذا المثال أن بحث الخوارق المدون في كتب جميع الملل لا يقف أمام نفخة من روح الله الحكيم اذا اراد عز وجل اعلان النيرة على حكمته وسننه ، ويفهم أيضا أن الدين الذي هو من أكبر هدايا العناية الازلية لا يتوقف عليها اذ لو توقف عليها وكان لا بد في ظهور صدق المأمور بتبليغه من ظهور خارقة لما تيسر تصديق أحد لان كل واحد حينئذ يخترع فيقترح صورة من الخوارق لسنن الله ، وناظم الكون سبحانه لم يشأ الى الآن نثره على ما يهواه المقترحون

الاقتراحات لا حد لها ولا عد ولا نظام ، هذا يقترح مثلا ان تصير الشمس برغوثا ، وآخر يقترح ان يصير المشتري عصفوراً ، وآخر يقترح ان يكون المريخ (طرطوراً) وآخر يقترح ان يصير القمر قريا ، وآخر يقترح أن يكون عطارد عطاراً ، وآخر يقترح ان تكون الزهرة زهرة لا تذبل أبداً ، وآخر يقترح أن ينضب البحر كله وتظل الانهار جارية ، وآخر يقترح ان يصير البحر كله براً او البر كله بحرا والناس كلهم سمكات مؤمنات مصليات صائمات ، وآخر يقترح أن يكون التراب كله ذهبا ، وتنبت عليه اشجار التفاح والليمون والاعناب والزيتون ، وآخر يقترح ان يصير الوقت كله ليلا وتحبس الشمس في حجرة من حجرات الملوك ،

وآخر يقترح ان يصير الوقت كله نهارا ويذهب النوم الى الشجرات الدائمة اليقظة ... الى آخره ... الى آخره ...

نعم ان مبدع منظومات الكون لم يشأ الى الآن نثرها ولا نستطيع ان نقول انه ينثرها على حسب الاقتراحات لتأييد الرسل فما معنى مباحثاتنا معشر البشر بانه هل يستطيع ذلك أم لا يستطيع بدا ايماننا بعدم تحدد قدرته وبعد سماعنا وحيه يرشدنا بهذا الكلام العالي « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

بعد تقرير هذا اقول ان البشر لا يستطيعون أن يعرفوا كل سنن الله تعالى او كل عادات الاشياء وطبائعها بل لا يستطيعون ان يعرفوا جميع اسرار كائن من الكائنات وجميع طبائعه بالتمام ، ثم هم لا يعرفون ايضا مقدار عنايته عز وجل بالانسان وانه مازال يمده بصنوف الهدايات ، وأنه قد يشاء اعلان آية له لاظهار عنايته به فيريه شيئا مثلا على خلاف ما تعلمه من عادات بعض الاشياء التي لا يترتب على تخلف المعروف من عاداتها نثر المنظومات ومن امثلة ذلك ان النار شأنها الاحراق وقد تقتضي سنته تعالى لاعلاء معارف الانسان وهدايته ان يريه النار غير محرقة لسبب تتعلق القدرة باخفائه

ان مثل هذا يقع ونعده من جملة سنن الله تعالى لان من جملة سننه ابداع هذا الانسان واطلاعه على واسع القدرة ، وبديع الصنعة ، واحتجاب الحكمة ، واختصاص العناية

ومن هذا التفصيل يتبين للقارئ أنا مؤيدون للآيات لا منكرون لها . وقصارى ما نقول إن الدين لا يتوقف على الخوارق بقدر ما يقترح المقترحون ، ويظن الظانون ، ويخترع المخترعون ، وانما يؤيده الله تعالى بآيات تنشرح لها البصائر المستمدة ، ولا نقول ان هذه الآيات فيها

تحويل لسنة الله تعالى أو عادة الاشياء وطبائعها اذ لا تبديل لسنته سبحانه وانما فيها معونة ربانية نعرفها بآثارها

وربما كرهنا التعبير بالخوارق الذي اصطلح عليه المدونون وان كانت المناقشة على الالفاظ بغيضة الينا وبعيدة عن رأينا . ونحب التعبير بالآيات (كما عبر القرآن الحكيم) ويالله ما اكثر الآيات على أن ما أتى به هذا المختار هو فضل رباني وأمر روحاني

لقد أنبته الله نباتا حسنا ، وشمله بالعناية منذ كان في الصبا ثم الشباب وهو غير شائن ذلك الاهاب حتى دخل الكهولة وتاق الى التكمل وفي هذه السن بدأه بتحبيب العزلة وتفريغ الفكر من الصور الفواني ليشرق فيه الجلال الذي لا يفنى ثم أعلن لروحه روحا من لدنه كما منح هذا من قبله رجالا كثيرين من المصطفين كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومن الآيات ان هذا الوحي صالح مصلح لنا ولم نجده طلب منا أن نعبده من دون الله وانما قال لنا انا عبد الله جئتكم ببلاغ من عنده انه وحده له الحكم ، وانه وحده اليه المرجع والمآب ، ولو قال لنا انا الحكم لوجدنا مقترحين عليه ان يجعلنا خالدين ، اذن لوجدناه عاجزا

الحمد لله لقد جاءنا هذا الرسول بآيات كثيرة لا نستطيع عدها : جاءنا بالعلوم وهو امي ، وجمع كلمة الشعوب وهو وحيد ، ورفع الله له من الذكر مالم يرفع لمثله وجعل هديه باقيا ، وصوته عاليا ، وروح تأييده ساريا ، ولذا ليس اليوم بنا من تعجب حين نسمع ايمان أقرب الناس منه واعرفهم به بل نحن بخديجة وابي بكر مقتدون ، ولربنا على هذه العنايات والآيات شاكرون ، وبوحي الله لهذا المصطفى مؤمنون